الباب الأول

ماهيّة الإعلام الإسلامي

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مفهوم الإعلام

أ ـ يرى أهلُ اللغة العربية أن للإعلام عدة تعريفات ، وذلك لأنَّ كلمة الإعلام هي مصدر للفعل الرباعي: أعلم ، وذلك من حيث إن العلم هو: إدراك الشيء على حقيقته .

قال العلامة اللغوي (ابن منظور ت : ٧١١هـ) : العلم نقيض الجهل ، عَلِمَ علْماً وعُلم هو نفسه ، وعلّم العلم ، وأعلمه إيّاه فتعلمه ، وعلم بالشيء : شَعَرَ ، ويُقال : استعلِم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلَمَه ، واستَعْلَمَني الخبرَ : أعلمته إيّاه[١] .

وذكر الإمام (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) أن : التعليم والإعلام شيءٌ واحد ، وفرّق سيبويه بينهما فقال : علمْتُ كأذِنْت ، وأعلمتُ كآذنتُ ، وقال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصوّر المعاني ، والتعلّم تنبّه النفس لتصوّر ذلك[٢] .

وأورد مجمع اللغة العربية أن : أعلم نفسه وفرسه : جعل له ـ أو لها ـ علامة في الحرب ، وأعلم فلاناً الخبر : أخبره به ، وعلّم نفسه : أي وَسَمَها بسِيْما الحرب[٣] .

---

(١) لسان العرب ، مادة: (علم) .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة: (علم) .

(٣) المعجم الوسيط ، مادة: (علم) .

وبالتالي ، فمادة (علم) تدور حول « العلاقة والمعرفة والشعور ، فإذا أُضيفت إليها الألف والسّين والتاء فهي طلب العلم أو الخبر ، وتعريف الناس وتعليمهم أو إخبارهم بالأخبار كلها من وظائف الإعلام ، وإذا كان بمعنى ترك العلامة ، فإن الإعلام يترك علامةً معنوية تتجلى في تأثّر الناس بما يعلمهم به ، وإمالة قلوبهم إلى ما يدعون إليه ، ولعلّ هذا يُشير إلى أن لكل اتجاه إعلامه الذي يؤثّر في الناس به »[1] .

ب ـ ومع تطوّر حركة الحياة البشرية تطوّر الإعلام ، في مختلف ألوانه واتجاهاته ، بما في ذلك أساليبه ووسائله ونحو ذلك .

ذلك لأن من طبيعة الإنسان حبّ الاستطلاع ، بحيث يبحث عن أخبار أسرته وقبيلته ومجتمعه وما إلى هنالك .

وأما ما يتعلّق بالتعريف الاصطلاحي لكلمة الإعلام ، فهناك طائفةٌ كبيرة منها ، مثال ذلك :

تعريف (إبراهيم إمام) الذي نصَّ على أن الإعلام هو : « تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة ، التي يمكن التثبت من صحتها ، أو دقّتها ، بالنسبة للمصدر الذي تنبع منه ، أو تُنسب إليه »[2] .

وأمَّا (محمد سيِّد محمد) فيعرّف الإعلام بقوله: « هو العلم الذي يدرس اتصال الناس اتصالاً واسعاً بأبناء جنسهم ، اتصال وعيٍ وإدراك، وما يترتّب على عملية الاتصال هذه من أثر وردّ فعل ، وما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف زمانية ، ومكانية ، وكمية ونوعية ، وما شابه ذلك »[3] .

---

(١) الإعلام في العصر الحديث ودوره في تبليغ الدعوة . محمد متولي : ٣/ ٤ـ٥ .
(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير ص : ١٢ـ١٣ .
(٣) المسؤولية الإعلامية في الإسلام ص : ٢٩ـ٣٠ .

ويرى (سيد محمد الشنقيطي) أن تعريف الإعلام هو : « الكشف عن المعلومات ، والمعارف ، والمواقف ، والاتجاهات ، وعملية تفاهم بين الناس من خلال وسائل قائمة على الحقيقة الثابتة ، والمعلومات الصادقة ، والرأي السّديد ، من غير تضخيم ، أو تشويه ، أو القوة التي تشكل الآراء ، فتؤدّي إلى التحرك في الاتجاه المرغوب »[1] .

وساق (محمد حمد خضر) عدّة تعريفات للإعلام منها :

ـ الإعلام : « عملية دينامية تهدف إلى توعية ، وتثقيف ، وتعليم ، وإقناع مختلف فئات الجماهير التي تستقبل مواده المختلفة ، وتتابع برامجه وفقراته ، ويجب أن يكون هناك فكرة محدودة تدور حول معنى معين ، يهدف مرسلها إلى إيصالها إلى تلك الجماهير » .

ـ الإعلام : « تلك العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة ، التي ترتكز على الصدق والصراحة ، ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية ، والارتقاء بمستوى الرأي » .

ـ الإعلام : « تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات الدقيقة ، والحقائق الثابتة ، والتي تساعدهم على تكوين رأيٍ صائبٍ في واقعةٍ أو مشكلةٍ ، ويعبّر تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم »[2] .

إذن :

تختلف التعريفات باختلاف توجّهات القائلين بها ، وباختلاف الزاوية التي ينظر منها أصحابها إلى هذا العلم ، فبعضهم ركَّز على معنى

---

(١) الإعلام الإسلامي : المفهوم والخصائص ص : ٧٤ـ٧٥ .

(٢) مطالعات في الإعلام ص : ١٢ـ١٤ .

الإعلام ، وبعضهم أكَّد على الغاية المرجوَّة من وجود الإعلام ، وفئة ثالثة وضَّحت أهمية الإعلام وأثره في الجمهور .

لكن لعلّ من أشهر التعريفات المتداولة للإعلام هو تعريف العالم الألماني (أوتوجروف) ، الذي ركز على الرسالة ودورها في المتلقّين ـ الجمهور ـ دون أن يوضّح كيفية إرسالها ، أو معرفة ردود الفعل عليها ، حيث يقول في التعريف : « الإعلامُ هو : التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه »[1] .

لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا : هل كل ما يُقال عن الإعلام بشكل عام ، ينطبق على الإعلام الإسلامي ، أم ثمّة فروق وتمايز بينهما ؟

يرى بعضهم وجود فروق بينهما ، لكن الحقيقة تؤكد أن الإعلام الإسلامي ليس مجرّد صفحات دينية ، ولا برامج إذاعية محدودة ، إنما هو الإعلام الذي يهدف إلى تزويد الناس بالأخبار الصادقة ، والآراء الصائبة ، وذلك لبيان الحق ونشر الفضيلة بين الناس .

فهو على حدّ تعبير (عمر عبيد حسنة) : « المعبّر عن الرسالة الإسلامية ، وهو الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ، كما يحمل النظرية والنموذج الأعلى إلى العالم ، ويدلّل على صدقها ، ويُثير الاقتداء بها بمختلف الوسائل ، ويحاول أن يفيد من كل التقنيات الإعلامية الحديثة ، ويضبط مضامينها بالقيم الإسلامية ، ويحسن توظيفها لخير البشرية ، وإلحاق الرحمة بالعالمين »[2] .

وهو على حدّ تعبير (عبد الوهاب كحيل) : « استخدام منهج إسلامي ، بأسلوب فنيّ ، إعلامي ، يقوم به مسلمون عالمون عاملون

---

(١) الإعلام : تاريخه ومذاهبه ، عبد اللطيف حمزة ص : ٢٣ .

(٢) مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي ص : ٢٧ .

بدينهم ، متفهّمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة ، مستخدمين تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضّرة والأخبار الحديثة ، والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل ، للمسلمين ولغير المسلمين ، من كل زمان ومكان ، في إطار الموضوعية التامة ، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد ، لإحداث التأثير المطلوب »[1] .

ولذلك فالمهم هو أن يحقق الإعلام الأهداف السامية التي يبتغي الإسلام من خلالها : بناءَ الشخصية المتوازنة ، مع تكوين المجتمع الإسلامي المتماسك ، بعيداً عن سَفْساف الأمور ، والرَّديء من كل شيء .

* * *

(١) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي ص : ٢٩ـ٣٠ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

أهداف الإعلام

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية تمتاز بعدة صفات منها : الشمولية ، بحيث تستوعب نواحي الحياة جميعاً ، فتضع الحلول لكلّ المشكلات ، وذلك لأن الذي أرسى قواعدها هو خالق الأكوان سبحانه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ولذا فإنه عز وجل هو العالم بها ، وبما يناسبها ، فيضع لها منهجاً واضحاً يحلُّ كل مشكلة تواجهها ، ويفيد في كل زمان ومكان .

والسبب الرئيس في ذلك هو أن ما جاء به النبيّ الخاتم ﷺ هو الرسالة الخاتمة ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

وبما أن الإعلام الإسلامي هو جزء من المفهوم العام للشريعة الإسلامية ، فإنه يتمثل (بالعملية) والتي توحي بوجود حركة دائبة بين المرسل والمستقبل ، ووجود تفاعل قوي بينهما ، وهذا ما أكّده القرآن الكريم ، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٥٣] وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] فالتغيير يتطلب حركة مستمرة ، وتفاعلاً حياً .

من هنا لا بدّ للإعلام الإسلامي في أهدافه ووسائله ووظائفه و. . . . أن يلتزم بالإسلام كله ، فلا يخرج عن هدي القرآن والسنة ، ولا يُعارض ما جاء به الفقه الإسلامي ، ونصَّ عليه .

لكن ذلك لا يتمّ إلا عبر عملية تخطيط منظّم وناجح ، أما الأمور الارتجالية والفوضوية فهي تخالف تعاليم الإسلام ، وبالتالي فكل مسلم عليه أن يسير في حياته على هدي من العلم والحكمة ، وذلك في طريق استخدام كل حواسه وطاقاته التي وهبه الله سبحانه وتعالى إياها ، مصداق ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١) [الإسراء : ٣٦] .

وفي القرآن الكريم عرضٌ لأنموذج التخطيط ، وذلك في حكاية نبي الله يوسف عليه السلام ، حيث وضع خطة طويلة الأجل مدتها خمسة عشر عاماً ، وقد قال تعالى في معرض الحكاية : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾(٢) [يوسف : ٤٧ـ٤٩] .

ولا تعارض بين التخطيط وبين التوكل على الله، إنما ذلك ـ التخطيط ـ تنفيذٌ لأوامر الله :

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

---

(١) « لا تقف » : لا تتبع .

(٢) « دأباً » : دائبين كعادتكم في الزراعة . « تحصنون » : تخبئونه من البذر للزراعة . « يغاث الناس » . يُمطرون فتخصب أراضيهم . « يعصرون » : ما شأنه أن يُعْصَر كالزيتون .

أما أهم أهداف تخطيط الإعلام الإسلامي ، فيمكن حصرها ـ وباختصار ـ فيما يلي[1] :

أ ـ الهدف العام : وهو تحقيق أهداف الإعلام الإسلامي بأكبر قدر من الكفاية والفعالية والتأثير ، ويقتضي ذلك وضع أهداف الإعلام الإسلامي وسياساته على مستوى العالم الإسلامي ، بل وعلى مستوى العالم أجمع ، بدقة ووضوح ، ومراعاة أن تكون هذه الأهداف شاملة لأنشطة الإعلام المتكاملة في المجتمع الإسلامي ، محققة لوظائف الإعلام المحددة ، دون أي نقص ، ووضع الخطط الإعلامية الإسلامية المتكاملة ، وتوفير الإمكانات اللازمة لتنفيذها بأعلى مستوى من الكفاية .

ب ـ الأهداف الفرعية : يشتق من الهدف العام لتخطيط الإعلام الإسلامي ، أهداف فرعية أربعة ، تتضافر مع بعضها البعض لتحقيق الهدف العام ، وهذه الأهداف هي :

ـ الهدف الأول : بناء نظرية للإعلام الإسلامي .

ـ الهدف الثاني : تحديد غايات مُثلى للخطط الإعلامية : ويقتضي ذلك أن يستفيد المخطط من أساليب وأسس تحديد الأهداف المقررة علمياً . ولضمان الوصول إلى أهداف مُثلى للخطط الإعلامية في المجتمع الإسلامي يجب على المخطط الالتزام بما يلي :

١ـ ربط أهداف الخطط الإعلامية بمقاصد الشريعة الإسلامية : إن مقاصد الشريعة الإسلامية ـ كما تدل عليها النصوص ـ هي تحقيق مصالح العباد في العاجل لآجل ، ودرء المفاسد والأضرار عنهم ،

---

(١) للتوسّع يراجع : التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام ، محمود سليمان ص : ٧٠ـ٨٤ .

لتحقيق السعادة لهم في حياتهم الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، ويستفاد ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقد عبّر القرآن الكريم عن الغاية الكبرى للمسلمين في دعائهم :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

فالهدف الأمثل للإنسان هو تحقيق سعادة الدارين بعيداً عن الفساد والمفسدين ، قال تعالى :

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [القصص : ٧٧] .

ومن ذلك يستنتج أنه على المخطط الإسلامي في مجال الإعلام أن يلتزم في تحديد أهداف الخطط الإسلامية ، ما يحقق مصالح الإنسان ، ودرء المفاسد والأضرار عنه في الدنيا والآخرة ، وما يحقق السعادة الحقّة في حياته ، في دنياه وآخرته .

٢ـ التزام الإعلام الإسلامي بخصائص الإسلام الأساسية : يقتضي ارتباط أهداف الإعلام بمقاصد الإسلام العامة ، أن يلتزم كذلك بخصائص الإسلام الأساسية ، والتي من أهمها :

أ ـ الشمول : إن الإسلام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان ، لذلك فإن أهداف الإعلام الإسلامي تمتد عبر مساحات شاسعة ؛ لتشتمل على جميع شؤون الناس في دنياهم وآخرتهم .

فالإعلام الإسلامي يلتزم بالإسلام بكامله ، في جميع أهدافه العامة والمرحلية والفرعية والتفصيلية ، ومرجعه في ذلك هو : القرآن الكريم والسنّة المطهرة والفقه الإسلامي ، وكلها تؤكد أن أحكام الإسلام وتعاليمه تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، وتتناول الناحية التعبدية

أو الروحية جنباً إلى جنب مع النواحي المادية والاجتماعية ، على مختلف الأصعدة ، وفي شتى الميادين .

ب ـ العموم : والمقصود بذلك عموم الزمان وعموم المكان ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وعلى ذلك ، فإنه ينبغي أن تغطي أهداف خدمات الإعلام الإسلامي جميع فئات البشر من كل جنس ولون ، وفي كل زمان ومكان ، ويقتضي ذلك أن تقابل هذه الأهداف حاجات كل نوع من البشر ، مع مراعاة اختلاف المكان واللغة والثقافة والدّين والأفكار وتطوّرها عبر القرون والمجتمعات .

جـ ـ المثالية مع الواقعية : فالإسلام لا يطلب من المؤمنين أن يعيشوا كالملائكة ، ولا يطلب منهم أن ينزلوا إلى دركات البهيمية الحمقاء ، إنما يطلب منهم أن يعيشوا الاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وهكذا يجب أن يراعي الإعلام الإسلامي عند تحديد أهداف خطته ، هذه الخاصة الإسلامية ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1] [الفرقان : ٦٧] .

جـ ـ الارتباط بأهداف الخطط الأخرى في المجتمع : يجب أن ترتبط خطط الإعلام الإسلامي مع الخطط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع ، والتكامل معها ، لتحقيق الأهداف العامة للمجتمع الإسلامي ككل .

د ـ شمول أهداف الخطط الإعلامية لجميع الوظائف : ينبغي أن

---

(١) « قواماً » : عدلاً وسطاً بين الطرفين .

تتضمّن أهداف خطط الإعلام الإسلامي جميع وظائف الإعلام ، وبرامجه المتطوّرة العصرية ـ في حدود ما أباحه الإسلام ـ واستخدام الوسائل المتقدمة المرئية والسمعية والمقروءة جميعاً ، والتي لا يحرّمها الشرع .

ـ **الهدف الثالث** : رسم سياسة إعلامية إسلامية فعّالة : وذلك عن طريق الالتزام بالمنهج الإسلامي ، وما يختصّ به الإسلام من القواعد والأسس الخيِّرة الإيجابية ، وأهمها :

ـ الالتزام بالعقيدة الصحيحة والقيم الإسلامية الفاضلة .

ـ تكامل السياسات الإعلامية مع الأنشطة الاجتماعية الأخرى .

ـ وحدة الخطط الإعلامية الإسلامية .

ـ أولويات خطط الإعلام الإسلامي .

ـ ضمان الاستفادة من الإمكانات في المجتمع .

ـ الاهتمام بأساليب الاتصال الجماهيري .

ـ التغطية الشاملة لفئات البشر كافة .

ـ **الهدف الرابع** : إعداد خطط نموذجية وتنفيذها ومتابعتها :

ويمكن تلخيص الإمكانات المطلوبة لتنفيذ خطط الإعلام الإسلامي في ضوء الواقع فيما يلي :

١ـ القوى البشرية : من حيث إعدادها إعداداً داخلياً ؛ كإصلاح التعليم ونحو ذلك ، وخارجياً ؛ كتحصينها ضد أمراض الغزو الفكري المعادي للإسلام .

٢ـ الإمكانات المادية والتقنية الحديثة : حيث تشتمل هذه الإمكانات على : المعدات والخامات ووسائل الاتصال الحديثة اللازمة لتنفيذ برامج خطط الإعلام الإسلامي ، وأهمها :

أ ـ المعدات والخامات .

ب ـ وكالات الأنباء للبلاد الإسلامية .

جـ ـ الإمكانات التنظيمية .

د ـ الإمكانات المالية .

إذن :

يمكن تحديد أهم أهداف الإعلام الإسلامي بالنقاط التالية :

١ـ تحقيق الصيغة الإسلامية للمجتمع .

٢ـ مواكبة مرحلة الدعوة الإسلامية .

٣ـ درء المفاسد من خلال منع أسبابها وأساليبها ووسائلها في الوصول إلى المجتمع ، وتنبيه الناس إلى خطورتها ، وتبيان آثارها .

٤ـ تكوين رأي عام إسلامي له وزنه الدولي وتأثيره الفاعل في القضايا التي تهمّ الإنسانية عامة ، والقضايا التي تهمّ الإسلام والشعوب المسلمة خاصّة[١] .

* * *

(١) الإعلام : قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي ، محمد منير سعد الدين ص : ٢٧ـ٣٠ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

أهميّة الإعلام

في عصر العولمة والتقدم التكنولوجي ، أصبح الخبر يُنقل إلى الناس ـ في كل أنحاء المعمورة ـ في لمح البصر ، حيث يوصف العالم اليوم بأنه قرية صغيرة ، فالإنترنيت وما شابهه كسر الحواجز ، وألغى بين بني الإنسان البُعد الثقافي والمعرفي .

لكن أين الإعلام الإسلامي الهادف ؟ هل يأخذ دوره في إيصال الخبر ، وفي بثّ البرامج المفيدة ؟!

لا شكّ في أن الإسلام دين سماويٌّ ورسالةٌ عالمية ، لا تقف عند حدٍّ معيّن ، من حيث الزمان ولا من حيث المكان ، به يصلح حال البشر كافةً ، لأنه منهاج حياة متكامل منزّل من عند الله عزّ وجلّ ، الذي خلق البشر ويعلم ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم ، وحينما نتكلم عن الإسلام كمنهج حياة للبشر ، فلا نقصد فقط النواحي الدينية ، المتعلّقة بالعبادات وكيفية أدائها ، فالإسلام لم يشمل هذا فقط ، وإنما الإسلام منهاج حياة متكامل من حيث العادات والعبادات معاً ، فهو يشمل تنظيم حياة البشر في نواحي الحياة ، من حيث التعامل والسلوكيات وحُسن الخلق ، وتنظيم شؤون البشر من حيث الاقتصاديات والاجتماعيات ، وما الشعائر الدينية التي يأمر بها الإسلام إلا مظاهر متمّمة لهذه الأمور الأخلاقية والسلوكية ودالّة عليها ، لذا إذا نفّذ الإنسان من الإسلام الشعائر الدينية

فقط ، وترك جوانب الأخلاقيات وحُسن المعاملة التي يأمر الإسلام بها كان مقصّراً ولم تُفِدْه عبادته ، بل إن لكل شعيرةٍ من شعائر الدين حكمة وفائدة في دنيا الناس ، فعلى سبيل المثال يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ اُتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وهنا نجد أن الأمر بتلاوة القرآن والصلاة وذكر الله متعلّق بالابتعاد عن الفحشاء والمنكر ، وهذه جملة موجزة تشمل الأمر بالابتعاد عن كل ما هو قبيح من السلوكيات كما تشمل الأمر بحسن الخلق ، ولا أدلّ على ذلك من ختام الآية بكلمة ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ فهي تحذير يُفيد أن الله مطّلع على كل كبيرة وصغيرة يفعلها العبد ، يقول الإمامُ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

(إن الصلاة تشمل على شيئين : على ترك الفواحش والمنكرات ، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك . وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً »[1] . وعن عمران بن الحصين قال : سُئِل النبي ﷺ عن قول الله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ قال : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له »[2] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا صلاة لمن لم يُطع الصلاة » ، وطاعة الصلاة أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر)[3] .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٤٦) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٥٨) .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤/٤١٤ .

ونجد مثل ذلك في الأمر بالصيام ، وهو شعيرة من شعائر الإسلام الأساسية ، وركن من أركانه ، يرتبط الأمر فيه بالتقوى والخوف من الله عزّ وجلّ ، والبعد عما يغضبه من القول والفعل ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به فليست لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه وشرابه »[١] .

وروى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : إن رسول الله ﷺ قال : « قال الله عز وجل ـ في الحديث القدسي ـ : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخَبْ ، فإنْ سابّه أحدٌ أو قاتله فَلْيَقُل: إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه »[٢] .

وهذه الآيات والأحاديث في الصيام تبيّن مدى تعلّق العبادات بالسلوكيات ، وإن أداء العبادة دون وجود حسن الخلق معها لا يفيد شيئاً ، وليس الأمر متعلقاً بالصلاة والصيام فقط ، وإنما تقف على ذلك في كل عمل من أعمال الإسلام ، وكل شعيرة من شعائره فتجدها تتعلّق بتهذيب حياة الفرد والمجتمع وتنظيم علاقاتهم وسلوكياتهم وتحسين

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٣) وأبو داود (٢٣٦٢) ، والترمذي (٧٠٧) ، وابن ماجه (١٦٨٩) .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١/١٦٣) .

أخلاقهم في كل قول وعمل ، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أن الإسلام دين ينظم دنيا الناس وآخرتهم ، وبه تصلح أحوال البشر كافةً ، لذا يجب أن يكون هو المصدر الأول والأوحد الذي تؤخذ منه المضامين والمحتويات ، دون اللجوء إلى مناهج أخرى لا تفيد ولا تُغْني .

ومما سبق يتضح لنا أن الإعلام شيء لا يستغني عنه الناس في هذا العصر بصفة خاصة للتعلم والإعلام والإرشاد والتوجيه والتثقيف والتسلية ، وأن الإسلام مصدر غني بهذه المحتويات والمضامين التي تُفيد البشر جميعاً ، وتنظّم حياتهم وآخرتهم ، وبها تصلح أحوالهم وشؤونهم في كل زمان ومكان ، لما يتضمنه من التوجيه الرائد ، والإرشاد المفيد ، والتعليم الموجَّه ، والإخبار الصادق ، والإعلام الشامل ، مع تضافر المتعة والفائدة في آن واحد .

من هنا كانت أهمية الإعلام الإسلامي : أن نمارس الإعلام بالوسائل المتقدمة المتطورة ، وبالأساليب الجذّابة الراقية الرفيعة ، ومن خلال المحتويات والمضامين الإسلامية السليمة النافعة ، ولا يتأتّى هذا إلا بصَوْغ كل ما يصدر عن الدول الإسلامية من إعلام بالصيغة الإسلامية ، بمعنى أن نملأه بالمحتويات والمضامين الإسلامية ، وفق نصوص الكتاب ومدلولات السنة الشريفة .

وإذا كان الإعلام هو تأثير الكلمة وحسن استخدامها ، فإن ذلك لم يكن بالشيء الغائب بيانه عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أصحابه ، وسنضرب لذلك مثلين ، مثلاً من حياة رسول الله ﷺ ، ومثلاً من حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لبيان أصالة وأهمية الإعلام الإسلامي عبر العصور .

إن الكلمة هي وسيلة الإعلام الأولى وحرفته ؛ لذا فإن تأثيرها على

العقول أقوى ، وفعاليتها في النفوس أعمق ، ولا بدّ أن تُوزَن بموازين الحكمة والفكر الناضج قبل أن تقال وتنشر أو تسمع .

إن من السهل أن نتبيّن تأثير البيان وأثر البلاغة على السّامع والقارئ في أيّ لون من ألوان التعايش بين البشر ، وليس أبلغ في التدليل على ذلك من قصة من التراث روتها كتب الأدب العربي ، لعل من المناسب سردها لنستروح عبق النبوة ، وصفاء الحكمة ، وعمق الرشاد .

تقول القصة كما رواها ابن عباس رضي الله عنهما : إن الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم قدما على رسول الله ﷺ .

فقال الزبرقان يقدّم نفسه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله! أنا سيّد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك ، مشيراً إلى عمرو بن الأهتم .

فوقف ابن الأهتم وقال : أجل يا رسول الله! إنه مانع لحَوْزَته ، مطاع في عشيرته ، شديد المعارضة فيهم . وسكت .

فلم يُعجب الزبرقان ما قاله ابن الأهتم ، فوقف وقال :

يا رسول الله! أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي .

فغضب ابن الأهتم من رفيقه الزبرقان وعاد إلى الوقوف مرة ثانية وقال : يا رسول الله! أما لئن قال ما قال ، فوالله لقد علمته ضيق العَطَن ـ أي بخيلاً ـ ، زَمِنَ المروءة ـ أي بالي ـ ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى ، وجلس .

وبسبب تناقض كلام عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله ﷺ وانتقاله من مديح الزبرقان إلى هجائه في جلسةٍ واحدة ، بدت علامات عدم الرضا واضحة على وجه رسول الله صلوات الله عليه ، وفهم ذلك كل من كان في

مجلسه ، واتجهت الأنظار إلى ابن الأهتم ، فسارع إلى القول :

لا تغضب يا رسول الله ، والله لقد رضيت فقلت أحسن ما علمت ، ولقد غضبت فقلت أسوأ ما علمت ، ووالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية .

فتهلّل وجه رسول الله ﷺ ، وقال كلمته المأثورة الخالدة التي ذهبت مثلاً : « إن من البيان لسحراً »[1] .

وقد كان رؤساء الوفود التي تفد إلى رسول الله ﷺ هم رجال الإعلام من وإلى قبائلهم التي أوفدتهم ، وكان موقف الزبرقان وعمرو بن الأهتم دلالة واضحة على مدى اهتمامهم بالكلمة التي هي اللبنة الأولى والمهمَّة للإعلام ، ومدى تأثيرهم في المستمعين لهم ، وقوة إدراك الرسول ﷺ لأهمية ذلك كله حتى إنه قال قولته المأثورة : « إنّ من البيان لسحراً » .

وقد كان اهتمام الصحابة ـ الذين تتلمذوا على يدي الرسول ﷺ وتعلّموا منه ـ بالإعلام لا يقلّ عن ذلك .

دعنا ـ عزيزي القارئ ـ نقلّب صفحات مشرقة من تراثنا لنرى كيف تعامل السلف مع قضية الإعلام في مجتمعهم ؛ لعلنا نستشف منها العظات البالغة ، ونتلمّس منها المواقف والدروس والعِبَر ، لنبصر بها إعلامنا ، ويزداد تفاؤلنا مع تبصيره ويشرق مستقبله الواعد .

دعنا نتصفّح قصة للزبرقان بن بدر مع الحطيئة ، فسوف نجد فيها دلالة على التأثير البالغ والسائد للإعلام ، وكيف يمكن تحديد دوره في المجتمع ، لتتطابق أهدافه مع قيم الأمة ، حدث هذا يوم أن كان للشعر دولة ، وكان هو الأداة الإعلامية السائدة حينئذٍ .

---

(١) رواه أبو داود (٥٠١١) ، والترمذي : (٢٨٤٨) .

تقول القضية : إن القبيلة المناوئة لقبيلة الزبرقان بن بدر أغرت الحطيئة أن يهجو الزبرقان بعد أن أحسن إليه وأكرمه وآواه ، فكتب الحطيئة قصيدةً طويلة ضمّنها هذا البيت :

دع المكـارمَ لا تـرحـل لبغيتهـا واقعدْ فإنكَ أنتَ الطاعم الكاسي

وقد كان تأثير هذا البيت على نفس الزبرقان كالخنجر المسموم ، فثار من أجله وماج ، وانظر الآن لو وصفتَ بهذا البيت أحداً ، ربما اعتبره مديحاً ، ولكن سبحان الله ، لقد تغيّرت قيم العباد ومفاهيم الخلق ، واختلفت الغايات المرجوَّة من هذه الحياة .

ذهب الزبرقان يشكو الحطيئة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لينصفه منه ، فاستدعى خبيراً في الشعر ، هو حسان بن ثابت رضي الله عنه وسأله : هل هجاه ؟

فقال حسان : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد سَلَحَ[1] عليه!

فأمر عمر رضي الله عنه بسجن الحطيئة لتخطّيه بالقول القاسي والقذف على فردٍ من أفراد الأمة الإسلامية .

وبقي الحطيئة في السجن مدة طالت عليه ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يستعطفه بأبياتٍ من الشعر ليطلق سراحه ، أبرزها قوله :

مـاذا تقـول لأفـراخ بـذي مَـرَخٍ حُمْرِ الحَواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ[2]؟
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفرْ عليكَ سلامُ الله يا عمرُ[3]

---

(١) « سلح » : تغوَّط .

(٢) « الأفراخ » : صغاره . شبههم بصغار الطير . « حمر الحواصل » : لم تُكْسَ بالريش بعد ، إنما هو اللحم بادياً .

(٣) « كاسبهم » : هو الذي يكسب لهم الطعام . « مظلمة » : هي البئر التي احتفرها عمر رضي الله عنه ، وجعلها سجناً . =

فأمر عمر رضي الله عنه بإحضار الحطيئة بعد أن أثّرت فيه أبياته وألانَتْ قلبه ، وأراد عمر أن يحذّر الحطيئة من العودة لمثلها ، فقال لمن حوله :

آتوني الطسْت . . . آتوني المـكين!

فارتعد الحطيئة وتساءل : ماذا تفعلُ يا أمير المؤمنين ؟

قال : أقطع لسانك حتى لا تعود لمثلها ، فبكى الحطيئة واستعطف حتى عفا عنه عمر ، وقال له محذراً : كأني بك يا حطيئة عند فتى من فتيان قريش ، وقد بسط لك نمرقة وكسر لك أخرى ، وقال : غننا يا حطيئة ، فطفقت تغنيه بأعراض الناس .

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : فما مرّ الزمان بعد وفاة عمر حتى وجدتُ الحطيئة عند فتى من فتيان قريش ، وقد بسط له نمرقة وكسر له أخرى ، وقال : غننا يا حطيئة ، فطَفِقَ يغنيه بأعراض الناس .

فقال له عبد الله بن عمر : ألا تذكر قول عمر ؟!

ففزع الحطيئة وقال : والله لو كان حيّاً ما فعلت!

نرى مما ذكرنا أن الفاروق رضي الله عنه كان حريصاً على أن يضع العقاب الزاجر للألسنة السّليطة التي تـستخرج ما وهبها الله من قدرة على التعبير والبيان ، لتحطم به سمعة الشرفاء ، وتلوك الأعراض ، كأني به رضي الله عنه وقد حدّد بذلك العمل مع الحطيئة شروط المهنة ، بل أخلاقياتها وقواعد ممارستها ، فليس الإعلام إفكاً وكذباً وهجاء ودجلاً ، إنما هو صناعة الخير في مجتمع الصلاح والصالحين .

لقد كان بيت الشعر الذي قاله الحطيئة في الزبرقان نوعاً من الممارسة التي قد نجد فيها بعض أوجه الشبه في جزء من الواقع في زماننا المعاصر ، ولكن عمر رضي الله عنه قد ضرب لنا مثلاً في منع ذوي

الأهواء الهابطة ، والمغرضين من تلك الممارسة .

وإذا كانت القصة قد بيّنت لنا الدور المؤثّر للشّعر كأداة من أهم أدوات الإعلام ووسائل الاتصال في المجتمع العربي المسلم قديماً ، فإنها أكدت سمات الخلق الإسلامي ، وكيف يجب أن يمارس الإعلام ليؤدّي وظائفه وتأثيره على قيم المجتمع ، ويعرف الحدود التي يتحرّك فيها ، ويجول في مساراتها .

من هذه الأمثلة السابقة يتضح لنا مدى اهتمام النبي ﷺ بسلامة وحسن الممارسة الإعلامية ، وترشيده لها ، بوعي وفطنةٍ وذكاء وخُلُق نبيل ، ومدى تمسك المسلمين برسم السياسات الإعلامية للأمة ، لتسترشد بها ولتسير عليها إلى يوم القيامة ، فليس هناك من فارق سوى الوسائل والأساليب فحسب ، أما المضامين وطريقة استخدامها ، فما كان بالأمس هو ذاته موجود اليوم وغداً ، وذلك أن هذه الأمة مأمورة بالإعلام على سبيل التكليف والأمر والفرضية لنشر دين الله تعالى (الإسلام) الذي هو دين الإبلاغ والإعلام .

فقد جعل الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ أمة مثلى ، تقوم بالإعلام عن دين الله الحق ، وبيانه للناس بياناً شافياً ، كما جعلها شاهدة على الأمم ، وجعل الرسول ﷺ شاهداً عليهم ، وشهادتهم على الناس تقتضي الإعلام بالحق ، والرسول صلوات الله عليه شاهد عليهم في أنهم بيّنوا شريعته ، ووضّحوا رسالته ، وبلّغوا دعوته .

والدين الإسلامي دينٌ إعلامي بطبيعته ، لأنه يقوم على الإفصاح والبيان ؛ على عكس الأديان الأخرى ، كاليهودية مثلاً ، التي لا تختصّ برسالة ، وتتذرع بالكتمان والسريّة ، ولا أدلّ على ذلك من قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى

ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ـ١٦٠] .

وبذلك نرى أن أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح مفاهيم الإسلام والدعوة إلى مبادئه السمحة ، وقيمه الأصيلة النافعة ، بطريقة عملية وعلمية وفنية لتكون هذه القيم منهاج حياة كل مسلم ، في بيته وعمله ، ومع إخوانه وأقاربه ، وفي معاملاته وعاداته وتقاليده وعبادته .

لذا فهي ليست قاصرة على أجهزة إعلام دينية متخصّصة ، بل هي خطة عمل كل أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية ، وهي مضامين ومحتويات رسائلها الإعلامية ، مهما اختلفت أشكالها وقوالبها وتنوعت أساليبها ووسائلها ، فهي مضامين صالحة لكل زمان وكل مكان ، تؤدي إلى النتائج المرجوة منها ، والتي هي هدف الإعلام المفيد في أقرب وقت ممكن .

كما تكمن أهمية الإعلام الإسلامي في الذّود عن الإسلام والدفاع عنه ، وردّ المعتدين الذين خلت لهم الساحة ، وسنحت لهم الفرصة بغيبة الإعلام الإسلامي عن ميادين الإعلام ، وعلى حدّ تعبير الدكتور عبد الحليم محمود :

(فإن أية دعوة مهما كانت من السمو ، لا يمكن أن تجتذب إليها الأنصار إلا إذا كان لها (إعلام) ، وقد أخذ الإعلام في العصر الحديث مكاناً يجعله في الدرجة الأولى من الأهمية ، ويعرف ذلك المسلمون ولكنهم لا يعملون به فيما يتعلّق بنشر الإسلام ، وإذا كان الإسلام ينتشر فإنه ينتشر بقوته الذاتية ، رغم الهجوم عليه ، ورغم العقبات التي تعترض طريقه)[1] .

---

(١) أوربة والإسلام ص : ٤١ .

فالإعلام الإسلامي يجب أن يوضح حقائق الإسلام ، وقيمه التي قضى المسلمون ـ قبل غيرهم ـ على معظمها ، وشوّهوا صورها ببعدهم عنها ، وبسلوكهم سلوكيات مضادة لها ، فصار المراقب لمواقف المسلمين من مفردات دينهم ؛ يجد صوراً خاطئة في مجال العبادة ، والآداب ، والأخلاق ، والأسرة ، والتربية ، والواقع الاجتماعي ، ومختلف جوانب الحياة بأسرها[1] .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في ذلك : (إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ، فإنهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء متكينين ، فرّقت بينهم الأهواء والشهوات ، وقعدت بهم الصغائر ، وانصرفوا عن عظائم الأمور ، وأصبحوا مستعبدين مستذلّين ، ولو كان الإسلام ديناً قوياً ، لما كان المسلمون هكذا ، والغربيون ينظرون إلى المسلمين في العصر الحاضر ناسين شيئين :

ـ **أولهما** : أن المسلمين حالياً غير متمسكين بالإسلام ، وصلتهم به تقريباً صلة اسمية فقط .

ـ **ثانيهما** : ينسون ماضي المسلمين العظيم ، وقوتهم ، أيام كانوا متمسكين بالإسلام ، ولأن المسلمين أيضاً يكتبون عن الإسلام كتابات متناقضة ، تعرضه بصورة غير منسجمة ، وتبيّن أنه دين مليء بالاختلافات ، مما يجعل الأجانب يشكون فيه ولا يفهمونه ، فالإسلام في حاجة إلى عرضه عرضاً ميسّراً سهلاً قوياً)[2] .

فمهمة الإعلام الإسلامي هي : نشر المفاهيم الدينية ، والقيم

---

(١) يُنظر كتاب « هل أنت مسلم » للأستاذ يوسف علي بديوي ، طبع دار ابن كثير ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

(٢) أوربة والإسلام ـ مرجع سابق ـ ص : ٤٢ـ٤٣ .

الإسلامية الصحيحة بالأسلوب الفني الجذاب ، حتى يظهر الإسلام على صورته الحقيقية ، كي يؤدي الإعلام أيضاً رسالته بطريقة صحيحة ، لأنها مستمدة من مصدر صحيح .

وقد حاول أعداء الإسلام أن يظهروا أن الإسلام لا يصلح لأن يقدّم عبر وسائل وأجهزة إعلام العصر الحديث ، كما حاولوا أن يظهروا أنه ضد التطور والتقدم ، وضد الوسائل والأساليب الحديثة ، غير أن هذا محض افتراء ومجرد تقوُّلات لا نصيب لها من الصحة .

ولكن تلك الغزوات الفكرية والإعلامية كانت قوية ، وشديدة ، حيث أثرت على الصورة العامة للإسلام والمسلمين ، وهزَّت الركائز الأساسية للفكرة الحية الصحيحة وفق مبادئ الدين الحنيف ، والسنة النبوية الشريفة .

وقد ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين وانبهارهم بالحضارات الزائفة البرّاقة ، وتناسيهم لما يمتلكون من ثروات إعلامية إسلامية هائلة ، مما أدى إلى غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان ، وانفرد أعداء الإسلام بساحة الإعلام ، يشهِّرون من خلالها بالإسلام ومبادئه السمحة وقيمه الأصيلة النبيلة ، ويتجنون عليه وعلى رسوله الكريم ﷺ .

وقد فعل أعداء الإسلام ذلك لأنهم أدركوا أن الإسلام قوة دولية عظيمة ، تزلزل كيانهم ، وتهدّد وجودهم ، فبدؤوا يشنّون الحملات المضادة للإسلام ، وقد حدث مثل هذا قديماً مع الكفار في مكة المكرمة ، ومع المنافقين في المدينة المنوَّرة .

وسوف نرى أن الممارسة الصحيحة للإعلام الإسلامي كانت وراء دحر هؤلاء وإحباط مخططاتهم وردّ كيدهم ، في ذات الوقت الذي كانت فيه هي السبب في انتصار الإسلام والمسلمين وانتشار دعوتهم في أنحاء المعمورة .

وقد عاد أعداء الإسلام ، وجاء عليهم زمان غاب فيه الإعلام الإسلامي عن الساحة ، واختفى فيه من الميدان ، فانتهزوا الفرصة ، بعد أن أخذوا منه مبادئ الممارسة الصحيحة للإعلام ، وبدؤوا يستخدمون وسائلهم المنحطة ، وأساليبهم الرخيصة المبتذلة المغرية ، وبدؤوا يحاولون إبعاد المسلمين عن ماضيهم وعن دينهم الذي ارتضاه اللهُ تعالى لهم .

يقول الأستاذ (جب) المستشرق الإنكليزي ، حين يستعرض أنجع الوسائل لتغريب المسلمين تغريباً حقيقياً ، يهضمون فيه الحضارة الغربية ، حتى تصبح فيهم شيئاً ذاتياً ، لاينفصم عنهم ، وليس مجرد تقليد للغرب ، يقول :

(والوصول إلى هذا التطور الأبعد ، الذي تصبح الأشكال الخارجية من دونه مجرد مظاهر سطحية ، يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة) .

ثم يستطرد (جب) مقرراً : (إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي) .

كذلك يبدي ملاحظة حول النتائج الرهيبة لهذا الغزو ، فيقول : (إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ، قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حدٍّ بعيد ، وذلك ـ خاصة ـ هو اللبّ المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب ـ لحمل العالم الإسلامي عن حضارته ـ من آثار)[1] .

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، عبد الستار فتح الله سعيد ص : ٤٧ـ٤٨ .

وقد صدق المستشرق الإنكليزي (جب) حيث أصبح كلامه حقيقة واقعة في حياة شعوب البلدان الإسلامية ، بحيث بدا الفصام النكد في واقع المسلمين ، إذ جعلوا الدين منحصراً في المشاعر الوجدانية ، والأخلاقيات التهذيبية ، والشعائر التعبدية ، وفي ركنٍ ضيق من أركان الحياة البشرية ، وهو ما يُسمَّى بالأحوال الشخصية ، فصار الدين مسخاً هزيلاً ، ورَسْماً تقليدياً لا علاقة له بنظم الحياة العملية . فكان الفصام النكد واقعاً بين الدين والحياة ، وذلك حين طغت التصورات الغربية ، وأوضاعها ، على البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها .

تقول الدكتورة إجلال خليفة مقررة ذلك : (تتعدد وتتباين التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي والمواطن المسلم ، وأخطر هذه التحديات في الواقع هي ـ في نظري ـ التحديات الداخلية ، والتي تحيط بالإنسان المسلم عن قرب ، وتصافح عقله ووجدانه وروحه وإحساسه صباح مساء ، وأهم هذه التحديات الداخلية في العالم الإسلامي :

ـ التمزّق الذي يسود الوطن الإسلامي والتشاحن والتناحر الذي نشاهده بين قادة الدويلات الإسلامية ، وتوجيه أجهزة الإعلام للسبّ والقذف وهدم غيرهم من أبناء المجتمع الإسلامي ، دون أي نشاط يُذكَر ضد أعداء المسلمين .

ـ انصراف أجهزة الإعلام عن مخاطبة جماهير المسلمين من واقع احتياجاتها الإعلامية ، فحوالي (٩٠٪) من المادة المذاعة والمنشورة تبعد بعداً تاماً عن عقائد الجماهير الإسلامية ، وتهدم ما تبنيه المادة الإعلامية القليلة المرتبطة بالقيم الإسلامية ، والتي لا تتعدى (٤٪) من مجموع ما يوجّه إلى الجماهير من برامج أجهزة الإعلام على اختلافها ، حتى إن إعلامنا المجدي المعاصر يعيش في أجيال مضى على فنائها مئات

السنين ، وإنما تحتاج جماهير المساجد إلى من يعاصر قضايا العصر ومشكلات الأجيال الحالية ، وتبدّد الظلام الديني الذي تحيط به أجهزة الإعلام الإلحادية والمعادية لعقيدتنا الإسلامية ، والتي تعمل على تشكيك المسلم في معتقداته وفي آراء قادته وأئمته ، من سبق منهم ومن بقي بينهم .

ـ عزل مناهج التعليم في المدارس المختلفة عن جوهر الدين الإسلامي ، مع أن الدين الإسلامي يتناول الإنسان منذ كان نطفة وطفلاً رضيعاً ويافعاً وشاباً ورجلاً وشيخاً ، وحتى حياته الأخرى فيما بعد الوفاة ، يتناوله سلوكياً وروحياً وعقلياً وعقائدياً وفكرياً وتكويناً علمياً ، مع الإحاطة بكل ما يقع عليه بصره وأحاسيسه ، ويحسّه ويتخيله ، وبذلك تتكون شخصية التلميذ والطالب بأسلوب أقرب إلى الاضطراب النفسي والجهل بما يدور حوله ، وبما يشاهده مما يجب أن يتعلّمه ، فالعلم الذي لا يقرّب إلى الله سبحانه ليس بعلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة في الواقع الذي نعيشه .

ـ فصل تعليم الدين الإسلامي عن الحياة وأمور الدنيا ، والعمل على حصره على ما بعد الحياة والوجود الدنيوي ، وبذلك تخرج مناهجنا التربوية والاقتصادية والسياسية والثقافية ناقصة ، بل باطلة ومضطربة ، وما نعمله اليوم نهدمه في الغد لإخفاقه بحجة التعديل ، وبذلك تمرّ الأيام ونحن نرجع إلى الوراء ، إلى ما قبل بزوغ نور الإسلام ، لنعيش ونحن في نهاية القرن العشرين وبدء القرن الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة في العصور الجاهلية الأولى ، بل في أسوأ من تلك العصور المظلمة .

ـ وإلى جانب ذلك كله هناك عزل المسجد عن معالجة شؤون المسلمين ، واقتصاره على تأدية الصلاة ، ولم يُنشأ المسجد لذلك فقط ،

وإنما أنشأ الرسول ﷺ المساجد للنظر فيما يعنُّ للمسلمين من أمور وقضايا ، تُحلّ باجتماع أهل الرأي من المسلمين في صلاة الجماعة ، ولوجود إمام يوجّه شعب المسجد إلى ما يريده الله من الإنسان في وجوده من الحياة على الأرض ، وكيف يكون عاملاً للإصلاح ، والصلاح لنفسه ولمن حوله من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، لأنها جميعاً يكفيها فخراً أنها من صنع الخالق جلّت قدرته .

ـ سيادة الإعلام الفاسد في ربوع الوطن الإسلامي لعمله على إبراز نشاط النماذج الفاسدة من بني البشر ، وإهمال القدوة الحسنة للإنسان المسلم بغرض العمل على انحلال المجتمع وإشاعة الفوضى والتسيّب والفساد في أركانه ، وهدم قيمه الإسلامية)[1] .

ومما سبق يتضح لنا أهمية الإعلام الإسلامي ، ويتضح لنا ما حدث للمسلمين من خسائر متنوعة وكبيرة من جرّاء غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان ، وقد انتهز أعداء الإسلام هذه الفرصة وبدؤوا حربهم الشعواء على الإسلام وقيمه ومبادئه ، وذلك خوفاً من انتشاره وسيادته ، مما يؤدي إلى اندحارهم واختفاء سلطانهم .

لذا بدؤوا حملاتهم المنكرة ضد الإسلام ورجاله ومبادئه ، وساعدهم على ذلك المسلمون أنفسهم : (وإن كان أكبر خطأ يرتكبه الإعلام الإسلامي بكل من يعمل فيه من دعاة وخطباء وأئمة وصحفيين وإذاعيين وناشرين وكُتّاب ، وعلماء ومعلمين ، وفنيين وغيرهم ، أن ينعزلوا بأنفسهم عن أخطار الاتصال الجماهيري ، تاركين أفراد الأمة يسقطون صرعى في الهوى المتكرر ، والإلحاد المدبر ، والتخطيط الشيطاني

---

(١) مجلة الفن الإذاعي ، الصادرة عن اتحاد الإذاعة والتلفزيون بالقاهرة ، عدد ٩٤/ ١٩٨٢ : ص ١٣ـ١٨ .

المدمر ، وإن سكوت الإعلاميين المسلمين ، واعتصامهم بأبراجهم العاجية ، وصمتهم إزاء ما تقوم به كتائب الظلام وجند الشيطان ، يعتبر تخاذلاً ونكوصاً ، فلا بدّ من التصدّي ، وفضح النفاق ، وكشف الخداع ، وإظهار الزيف ، فالمسلمون أمة شديدة البأس ، وليس صمتها على المنافقين والمشركين دليل تصديقها لأباطيلهم)[1] .

ودور الإعلام الإسلامي ورجاله إنما هو دراسة الإسلام كمنهج رباني يصلح للحياة ، والإيمان به والغيرة عليه وعلى مبادئه السمحة القويمة ، والتحمّس لنشرها في رحاب الأرض على امتدادها .

وبذلك تمتلئ بها البرامج والمقالات والأخبار والمسلسلات والتمثيليات ، وكل ما يصدر عن أجهزة إعلام الدول الإسلامية ، مكتوبة ومسموعة ومرئية ، خاصة في هذا العصر الذي أثبتت المدنية المادية فيه إخفاقها في حلّ مشكلات البشرية يوماً وراء يوم ، وأصبح الاتجاه العقلاني فيه ينادي بالعودة إلى الروحانيات والالتجاء إلى الدين ، والاكتفاء بذلك ، وترك الميدان فارغاً ليصول الشيطان وأتباعه من مختلف الأصقاع والأمصار .

وإذا كان هناك قلّة من حكماء المفكرين أصبحوا يرون الآن أنه لا إنقاذ للبشرية إلا بالعودة إلى الدين ، فقد كان لزاماً على إعلامنا أن يلتقط هذه الشهادات المخلصة ، ويؤيدها ، ويناقشها مع واقع الإسلام وتاريخه ، وعبره وأحداثه . وإذا كان هؤلاء الحكماء يذكرون العودة إلى الدين ولم يحدّدوا ديناً بالذات ، فقد وجب علينا أن نثبت أن الإسلام هو الدين الوحيد الصالح للبشر ، والمهيمن على ما سبقه من التشريعات ، والمبرّأ من كل شك لحقها زيفاً أو تزويراً ، فالعالم قد أصبح ـ حقيقة ـ يعاني

---

(١) الإعلام الإسلامي ، الدكتور إبراهيم إمام ص : ٤٣ .

إفلاساً روحياً ، والمنصفون من حكمائهم أصبحوا يدينون عقائدهم التي تهتز تحت مجهر الحقائق ، وسندان الواقع ، ويرحّبون بأيّ جاد يشدّهم إلى حقيقة الإسلام ، المنبثق عن الكتاب والسُّنَّة .

والزاد الذي نقدّمه لهم قليل حتى إنهم يبدون كل الحفاوة حين يقعون على سطور كتاب في تاريخنا ، من أمثال إشراقات ابن رشد ، ومدرسة الأندلس ، وابتداعات العلوم والرياضة .

هم يرون أن هذه الأفكار وغيرها التي بنت عليها أوربة حضارتها إنما جاءت من أصول وينابيع الإسلام ، وهذه هي مهمة إعلامنا : التركيز بإخلاص على تقديم وعرض هذه الينابيع بالأسلوب العصري ، فالإسلام يواكب كل عصر بأسلوب علمه ، ويحلّ له مشكلاته بأسلوب تطوّره .

هذا هو دور الإعلام الإسلامي ، وهذه هي مهمته ، وهي في الحقيقة مهمة كل مسلم غيور على دينه ، فالإعلام الإسلامي ليس واجب من يكتبون في الصحف أو يعملون في الإذاعات وأجهزة الإعلام المعروفة فحسب ، وإنما واجب كل مسلم ، بحسب قدراته واستطاعته وما أوتي من علم ووسيلة ، فتبليغ الإسلام والإعلام عنه واجب على المسلم في بيته وعمله ومع أصدقائه ، وواجب على أئمة المساجد بالأسلوب المفضّل والكلمات المستحبّة ، بعيداً عن الجفاف والغلظة ، فقد أمر الله عز وجل بحسن عرض القول ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

قال صاحبُ « الظلال » : على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، ويُعيِّن وسائلها وطرائقها ، ويرسم المنهج للرسول الكريم ﷺ ، وللدعاة من بعده بدينه القويم . . . والطريقة هي الدعوة بالحكمة ، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والطريقة التي

يُخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها . . . والموعظة الحسنة تدخلُ إلى القلوب برفق ، وتعمِّق المشاعر بلطف . . . والجدال بالتي هي أحسن يدفع التحامل على المخالف ، حتى يطمئن إلى الداعي ، ويشعر أن هدفه هو الإقناع والوصول إلى الحق .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال تعالى موجهاً الأمر للجميع :

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

كما أن الإعلام الإسلامي أيضاً واجبٌ على كل العاملين في أجهزة الإعلام الخاصة بالاتصال الجماهيري والمنطلقة من الدول الإسلامية جميعها ؛ لتعبّر عن روح الإسلام في الخبر الصادق ، والإعلان المفيد ، والتمثيلية الهادفة ذات المستوى الراقي والمضمون المفيد ، والبعيدة عن الإسفاف والخلاعة والترخّص والابتذال .

والإعلام الإسلامي له وظائف وأهداف يرمي إليها لتكوين المفاهيم الصحيحة لدى جماهير المستقبلين له في كل مكان من أنحاء العالم ، ولغرس القيم والمبادئ الصحيحة السليمة التي تفيد الناس في دنياهم ، حيث تنظم شؤونهم وأحوالهم المعيشية ، وتنظم علاقة البشر بعضهم ببعض ، كما تنظم أيضاً علاقة البشر بخالقهم سبحانه وتعالى ، وترشدهم إلى الغذاء الروحي المتمثّل في العبادات بمعناها الواسع ، والتي تؤدي إلى الاستقرار النفسي ، وإلى السعادة الخالدة في الحياة والآخرة .

وحينما نتحدث عن الإعلام الإسلامي ودوره وأهميته في نشر الإسلام ومبادئه ، فنحن لا ننكر قيمة الأديان الأخرى وأهميتها ، غير أن لكل شريعة من الشرائع ، ولكل دين من الأديان توقيتاً محدوداً ، وأنه يصلح

لها هذا الدين ، وتلك الشريعة ، وتصلح هي بدورها له .

وهذه الأمة التي تعيش هذا العصر ، وإلى أن تقوم القيامة لا يصلح حالها إلا بالدين الإسلامي الذي ارتضاه الله عز وجل لها ، وارتضاها له .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ومن هنا تظهر بجلاء أهمية الإعلام الإسلامي في الإعلام عن هذا الدين ، والإقناع به ، لتعمّ السعادة البشرية جميعها ، ولتنقشع غشاوات الظلام ، وليبدّد نور الإسلام ظلمات المادية والإلحاد ، ومذاهبهما المقنّعة تحت مسميات كثيرة ، برّاقة وزائفة .

حسبنا أنها تثبت إخفاقها يوماً وراء يوم ، وهذه هي مهمة الإعلام الإسلامي ودور رجاله في إنقاذ البشر كافةً ، وإسعادهم بالإسلام ونوره ، قولاً وعملاً[1] .

* * *

(١) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي ، عبد الوهاب كحيل ، ط١ / ١٩٨٥ ، عالم الكتب ، بيروت ص : ٦٧ـ٨٣ .

الفصل الرابع

وظائف الإعلام

بعد أن جرّب العالم إيديولوجيات شرقية كانت أو غربية ، لم يحصد إلاّ الشقاء والخذلان ، وتبيّن أن كل الشعارات التي كانت تسوّق على الناس ليست إلا كلماتٍ في مهب الريح ، لا رصيد لها في الواقع أبداً!

فلا هي حلّت مشكلات اجتماعية ، ولا هي غيّرت الوضع الاقتصادي نحو الأحسن ، إنما كل الذي فعلته أن أبعدت الناس عن الأديان وعن الروحانيات ، مما أدّى إلى إحداث فراغ كبير في نفوس البشر ، الذين عانوا من الخواء الروحي ، فطغت المادية على كل شيء في الوجود ، وابتعد الناس عن خالقهم ، ومنهج الدين الحنيف ، فتاهوا في دياجير مظلمة ، حصدتْ كل حق وخير وصواب .

لكن الحقيقة التي نطق بها كتاب الله تعالى تلخص الحدث ، فلا يتم التغير نحو الأفضل عن طريق نُظم وأفكارٍ مستوردة ، إنما القضية أن يكون التغير من الداخل ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

ولعلّ للإعلام الإسلامي الدّور الكبير في حركة التغير ، وذلك من خلال التأكيد على أهم وظائفه ، ويأتي في مقدمتها :

١ـ الإعلام بالدين الإسلامي (التعليم والتوجيه) : والإعلام

الإسلامي هنا يُوجَّه إلى المسلمين وغير المسلمين ، أي على المستويات الداخلية والخارجية ، للإعلام بالدين نفسه ، للمؤمنين به وغير المؤمنين في كل مكان .

فأما المسلمون المؤمنون برسالة الإسلام فيوجَّه الإعلامُ الإسلامي إليهم في هذه المرحلة من مراحله لتعليمهم دينهم ، ولكشف بعض الجوانب التي ربما جهلوها عن الإسلام . ويجب أن يكون الإعلام في هذه المرحلة محتوياً على تعليم واضح ومُحبَّب للمناسك والشعائر الدينية ، ليس هذا فحسب ، وإنما تعليم كيفية المعاملات الإسلامية والسلوك الإسلامي القويم ، كحسن الخلق ، وحسن الحديث ، وحسن معاملة الناس ، وما يأمر به الإسلام من حسن الجوار ، وبر الوالدين ، والرحمة للصغير ، وتوقير الكبير .

ووظيفة الإعلام الإسلامي هنا إنما هي الإرشاد والتوجيه والتعليم بالطرق المباشرة وغير المباشرة ، فلا يجب أن يقتصر الأمر على الأحاديث الدينية بالطرق الجافة ، المحتوية على الأمر والنهي بصورة مباشرة ، سواء كانت مكتوبة أو مسموعة أو على شاشات التليفزيون ، وإنما إلى جانب ذلك يجب أن يكون هناك فنّ الحوار ، وهناك إعمال للفكر في كيفية توصيل الرسالة الإعلامية المشتملة على التعليم الديني بالصورة المحبّبة الجذّابة وغير المباشرة ، فالتعليم المباشر شاقّ على النفس البشرية في بعض صوره ، لا سيما التعليم الموجَّه للأطفال ، فيجدر أن يقترن بأسلوبٍ قصصي مشوِّق جذَّاب ، وأن ترافقه المتعة الهادفة ، وأن يُجْريه أناس متخصصون في فن تعليم وتربية الصغار ، وأن يكونوا من الحاملين لأرقى الشهادات العلمية في المجتمع .

كما يجب أن يمارس الإعلام الإسلامي هذه الوظيفة مستخدماً ضرب

الأمثلة والأساليب الفنية غير المباشرة ، كالتمثيليات والقصص الطريفة ، التي تؤخذ منها العبر والأمثال ، ولاستخلاص القيم المفيدة النافعة للجماهير المستقبلة في حياتها ، سواء في العبادات أو المعاملات ، أو الآداب والأخلاق العامة .

غير أنه يجب التنبيه هنا إلى أننا إذا تناولنا بعض القصص أو الأمثلة لتقديمها عن طريق المعالجة التمثيلية أو غيرها من الأساليب الجذّابة ، فإنه يجب تحرّي الدقة والأمانة ، سواء في ناحية العرض نفسه ، أو في ناحية تناول المادة العلمية التي تمثّل مضمون أو محتوى الرسالة الإعلامية ، فلا بدّ من أخذ هذه المضامين من كتب التراث ، وهنا أشير إلى أن بعضهم يحلو لهم إعادة كتابتها بشيءٍ من التحوير أو التحريف . وسواء حدث ذلك بسوء نية من أجل التحريف والتضليل ، أو حدث بحسن نيّة من أجل تسهيل وتبسيط العرض ، إلا أنه يجب على رجال الإعلام الإسلامي تحرّي الدقة حين تناول مادتهم العلمية والرجوع إلى كتب الحديث الصحيحة وكتب التراث الأصيلة للوقوف على صحة الروايات ، وللتأكد من سلامة النقل ، حتى لا تنتقل إلى الجمهور المستقبل معلومةٌ خاطئةٌ ، سواء كان الخطأ قليلاً أو كثيراً ، ذلك أن الخطأ القليل في مظهره في النقل ، قد يؤدي إلى تغير الكثير من المدلولات أو المفاهيم ، أو تغير بعض الاستنتاجات التي يمكن أن يستخلصها المستقبل .

ووظيفة الإعلام الإسلامي إذن كشف مثل هذه المغالطات والردّ عليها ، والقيام بمهمة الإعلام عن الإسلام ، وبيان حقائقه ، ومبادئه العظيمة ، وتعليمها للمسلمين ولغير المسلمين .

فأما تعليمها للمسلمين فيكون بتعليم الشعائر ، وبيان الأجر والمثوبة وتعميق الإيمان لدى المؤمنين ، والتذكير دائماً بأعمال الخير ، حتى يسعد المؤمنون في دنياهم وفي آخرتهم .

وأما غير المسلمين فيجب أن يقوم الإعلام الإسلامي بشرح الدين لهم بطرق عملية وغير مباشرة ، ويجب ألا يتم ذلك في صورة دعاية ، أو في صورة حث على الدخول في الإسلام بأيِّ صورة من الصور ، وإنما يجب عرض فضائل الإسلام حتى يحبّها غير المسلمين ، فإذا ما أحبّوها وسألوا عنها ، فإنه في هذه المرحلة يجب إعلامهم بالدين وتعليمهم إيّاه[1] .

٢ـ **تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الإسلام** : كما هو معروف ، فلا ينحصر معنى الإسلام في أداء الشعائر والعبادات فقط مع إهمال النواحي السلوكية والخلقية ، وإنما الإسلام منهج حياة ، وهو دين يربط العبادات بالمعاملات ، في علاقة ثنائية مزدوجة ، فما مِنْ عبادةٍ في الإسلام ، فردية كانت أو جماعية ، إلا ولها أثر في المجتمع ، قلَّ أو كثر ، خَفي أو ظهر ، وإن كانت الوظيفة الاجتماعية ، أو الآثار العامة ، تبرز أكثر وأكثر في العبادات الجماعية . فهو يأمر بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهو يأمر بالزكاة طهارة للمال وتكافلاً اجتماعياً بين الأغنياء والفقراء ، وهكذا نجد أن الإسلام دينٌ يهتمّ أشدّ الاهتمام بتنظيم حياة البشر على وجه الأرض ، ويهتمّ بإصلاح أمور دنياهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض على المستويات الفردية والجماعية .

ومن ذلك نجد أن الإسلام يأمر بصلة الرحم ويحثّ عليها ، ويأمر بالإحسان إلى الجار ، ويأمر بالإحسان إلى الفقراء ، ويأمر بالبرّ وحسن المعاملة حتى مع المسيء ، قال تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وإن إحدى وظائف الإعلام الإسلامي تعليم المسلمين هذه

---

(١) باختصار من : الأسس العلمية والتطبيقية ـ مرجع سابق ـ ص : ٨٧ـ ٩٢ .

السلوكيات عن طريق مختلف فنون الإعلام ، وبثّ هذه القيم على هيئة مضامين ومحتويات البرامج والمقالات المختلفة ، مكتوبة ومسموعة ومرئية ، وذلك حتى تصل إلى جماهير المستقبلين في كل زمان ومكان كما أراد الله عز وجل لها ، وكما أمر بها .

والإعلام الإسلامي يستطيع أن يقوم بهذه الوظيفة بطريقة غير مباشرة ، مستخدماً أيضاً الأسلوب الفني الجذّاب ، بالوسائل الحديثة المتطورة ، مبتعداً عن الإسفاف والسقوط الذي نراه في كثير من التمثيليات الإذاعية ، والتي تقوم بغرس كثيرٍ من القيم والعادات البعيدة عن أوامر الإسلام ، والتي تهدف إلى هدم كثيرٍ من القيم الإسلامية الأصيلة ، وما ذلك إلا لأن الأفكار القائمة عليها هذه البرامج والتمثيليات مستمدّة من إعلام الدول غير الإسلامية ، بل المعادية للإسلام ، والتي تتمنى هدم الإسلام وقيمه الأصيلة .

ومن الأمثلة الدالّة على ذلك ما نراه في بعض المسلسلات التليفزيونية ، من بثّ الأفكار التي تبدو في ظاهرها أفكاراً بنّاءة ، وقد تكون كذلك بالفعل ، أو معالجة بعض المشكلات الاجتماعية ، الموجودة في المجتمع بالفعل ، والتي تمسّ حياة الأفراد بصورة مباشرة ، لذا تجد هذه المسلسلات قبولاً من المشاهدين ، بل تجد تعاطفاً من الجماهير وتوحّداً واندماجاً يؤدي إلى حدّ الإدمان على مشاهدتها والحرص عليها ، خاصة ما يبذله المخرجون والممثلون من جهدٍ لإتمامها وإخراجها في أكثر صور الإثارة لتتم عملية الجذب ، وبالتالي التأثير والتأثّر .

ويعيب هذه المسلسلات أمران يجب أن يتم تلافيهما في إنتاج المواد الإعلامية الإسلامية :

ـ **أولهما** : الأسلوب الذي يتمّ به عرض هذه المسلسلات التمثيلية من

خلاعةٍ ومناظر غير لائقة من نساءٍ عاريات ، ومن ميوعةٍ في الأداء ، علماً بأن هذه الأمور قد نهى عنها الإسلام صراحة ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ونهى عن ميوعة القول من النساء ، فقال تعالى : ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

ولأن المشاهد يحسّ أن ما يراه ويسمعه على شاشات التليفزيون شيء مثاليّ ، ولو كان هذا عيباً أو عكس شرائع الإسلام لما تمّ التصريح بإذاعته على هذا النحو ، وهذا الإحساس لدى جماهير المستقبلين بصفة عامة ، ولدى الأطفال وقليلي التعليم بصفة خاصة ،يؤدي إلى هدم القيم الإسلامية ، وتعليم العادات والتقاليد المنافية لعادات وتقاليد الإسلام .

ـ **ثانيهما** : طريقة معالجة المشكلات في حدّ ذاتها كثيراً ما تتمّ بصورة غير إسلامية ، حيث نجد أن الغاية تبرر الوسيلة ، وهذا غير صحيح .

فعلى سبيل المثال كثيراً ما نجد بطل المسلسل أو بطلة التمثيلية تضطر (في التمثيل) إلى الزنى مثلاً ، أو السرقة ، للوصول إلى هدف معين ، مثل كسب لقمة العيش ، أو الدفاع عن مظلوم ، أو القيام بعمل وطني ، أو نحو ذلك .

والغاية هنا جميلة ، وهي الدفاع عن مظلوم ، أو الأعمال الوطنية ، أما طريقة أو وسيلة تحقيقها فغير شرعية ، وعلى عكس أوامر الإسلام ، وهي الوقوع في جريمة الزنى أو السرقة أو نحوها ، والمخرج والمؤلف التليفزيوني يقوم بعرضها في صورةٍ تقنع المشاهد بأنه لولا فعل هذه الجريمة لما تمّ الوصول إلى هذه الغاية .

وهذا يدفع المشاهدين إلى سلوك مثل هذه الجرائم في حياتهم

وتبريرها بمثل تلك التبريرات التي يرونها على شاشات التليفزيون ، مما يغرس فيهم عادات وتقاليد وقيم ، تبدو في ظاهرها أنه لا شيء فيها ، بينما هي عكس القيم الإسلامية ، وتتنافى مع ما أمر الله عز وجل به .

وقد حدث مثل هذا في الولايات المتحدة الأمريكية ، حينما أنتجت بعض شركات السينما فيلماً عن محاربة المخدرات ، وعندما قام رجال الإعلام بقياس تأثير ذلك الفيلم ، وجدوا أن نسبة الذين يتعاطون المخدرات قد زادت عمَّا كانت عليه قبل عرض الفيلم ، وبدراسة الموقف اتضح أن الفيلم هو السبب ، حيث أبرز الذين يتعاطون المخدرات في صورة الأبطال من غير قصد ، وهذا مع الفارق ، ونسوق هذا المثال لبيان خطأ الوسيلة في الوصول إلى الغاية .

يَكْمُنُ دور الإعلام الإسلامي ووظيفته في عرض القيم والعادات والتقاليد والمبادئ الإسلامية السليمة الصحيحة الأصيلة ، التي تسعد الناس جميعاً في حياتهم ، وتؤدي إلى نشر الأمن والسلام والسعادة بين البشر ، مسلمين وغير مسلمين ، في كل مكان ، وذلك بالأساليب الراقية الجذّابة المثمرة البعيدة عن الجفاف والغموض ، حتى يتأثّر بها كل من يراها ويسمعها ويقرؤها ، فيعمل بها[1] .

٣ـ بيان الحق ودفع الباطل والفساد : إن الإعلام الإسلامي يعمل على بيان الحق وتزيينه لجمهور الناس ، ويُقْصَد بالحق كل ما جاء به رسول الله ﷺ ، ويستخدم في ذلك كل الطرق والأساليب والوسائل المشروعة ، مع كشف زيف الباطل ووجوهه وتقييمه في نظر الناس بالطرق المشروعة ، كل ذلك لجلب العقول نحو الحق ، ورفض الباطل والبُعد عنه .

---

(١) المرجع السابق ص : ٩٣ـ٩٥ .

٤ـ التربية : يقوم الإعلام الإسلامي بدوره الكبير في التربية ، ويُسمى الإعلام بالتربية الموازية ، وتتمّ التربية والتعليم بطرق مباشرة وغير مباشرة ، وتتطلب الخبرة والدراية وفهم العلاقات الإنسانية ، والتعامل بالقدوة والمثل لتقريب الناس وكسب ثقتهم دون تنفيرهم ، لا سيما وأن الدعوة الإسلامية موجهة للناس كافة ، مسلمين وغير مسلمين ، مؤمنين وغير مؤمنين ، على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي ، وفي إطارٍ من التنسيق بين عناصر العملية التربوية وعناصر العملية الإعلامية وتكامل مؤسساتها ، حيث تعمل جميعها في إطار نظام تربوي شامل مستمر .

وتركز التربية الإسلاميةُ على عدة نقاط ، أهمها :

أ ـ تحقيق التوازن بين حاجات الإنسان على مختلف الأصعدة : الروحية والمادية والاجتماعية ، فيتلقى الإنسان تربية متوازنة منضبطة .

ب ـ التركيز على الجانب العملي ؛ ليتم تأهيل الفرد تأهيلاً سلوكياً ؛ لينطلق في رحاب الحياة ويحقق مسؤولياته الملقاة على عاتقه بكل جدارة واقتدار .

ج ـ الاستفادة من منطق التطور الإنساني ، فلم تكن التربية متقوقعة على ذاتها ، فالمفاهيم العامة التي تلقاها المسلمون أهَّلتهم للتكيف مع المطالب الجديدة ، فكان الاجتهاد أمراً متمماً ، لا يخرج عن نطاق النظرية الإسلامية التربوية .

٥ـ رفع الناس إلى المثل الأعلى ، والاقتناع بالعودة إلى الدين القويم : يتم رفع الناس إلى المثل الأعلى بالقدوة التي تزيّن هذا المثل ، وبإبراز ما هو مخالف لمثلنا الأعلى ، وذلك من خلال محاربة المادية التي هي من الأسباب الرئيسية في الكثير من أمراض عصرنا ومشكلاته ، سواء كانت أمراضاً جسمية أو معنوية ، فقد استَشْرَتْ هذه الأوبئة بمختلف

الطرق والأساليب ، وبصورة سريعة تُنْذِر بالهلاك والدمار ، وتهدّد العالم بأسره .

ويرجع كل هذا إلى بُعْدنا عن ديننا الإسلامي القويم ، وتعلّقنا بنظريات مادية وضعية ضيّقة تقصر اهتماماتها على الحياة الفانية ، وتنسى أو تتناسى أن وراءها حياة أخرى خالدة ، تجري وراء المكاسب المادية ، وتتجاهل الحقيقة أن المادة في حياة الناس وسيلة وليست غاية ، وأن هذه الوسيلة لا يمكن لها وحدها أن تحقق للإنسان أي قدر من السعادة ، هذه النظريات المادية التي هي من صنع البشر وبنات أفكارهم ، إن صلحت فلا تصلح للغد ، وإن أفادت فرداً بعينه فقد لا تفيد مجتمعاً متكاملاً ، لأن نظرات البشر غالباً ما تكون قاصرة .

إن وظيفة الإعلام الإسلامي هي بيان إخفاق هذه المذاهب ونظرياتها وأفكارها ، وإظهار الحلول المناسبة الملائمة ، وعرضها بأساليب جذّابة ، مستمدّين مادتهم في ذلك من واقع حياة هذه المجتمعات ، مع عرض حلول لهذه المشكلات من خلال الالتجاء إلى الدين الإسلامي القويم ، وتزيين تلك الحلول للناس وإيصالها إليهم مدعمة بالأدلة والحجج المنطقية ليصلوا إلى مرحلة الاقتناع الكامل .

٦ـ **تحقيق التعارف والتآلف والتعاون** : فالمسلمون أمة واحدة ، تربطهم رابطة الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

مما يتطلب أن لا نبقى متفرّقين في الأقطار العربية والإسلامية ، فوحدتنا قوة ، وتعارفنا وتآلفنا محبة ، بحيث يقدم كل منا للآخر كل ما يساعده ، وينصره ، ويعضده ، بدلاً من خصامنا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ١٣] هذا الحثّ

على التوحّد والتعارف أو التآلف والتعاون أمرٌ ضروري ومبدئي ، ويتطلّب تخطيطاً وإعداداً لمناهج العمل ، والبرامج المدروسة ، والأساليب والوسائل المختارة ، لتستخدم في وضعها المناسب ، وليتحقق ذلك ضمن أهدافٍ منشودةٍ واضحةٍ محدّدة .

٧ـ **التنمية** : حين يجري الحديث عن التنمية في ميدان الإعلام ، يُقصد بها غالباً التنمية الاقتصادية ، وهذه التنمية التي تسعى إليها كثيرٌ من البلدان التي يسمّونها بلدان العالم الثالث ، أو البلدان النامية ، سواء كانت في آسيا أو في أمريكا اللاتينية أو في إفريقية ، والتي منها البلدان العربية والإسلامية ، وحين نتحدث عن التنمية الاقتصادية فلا بدّ أن نسجل نقاطاً مُهمَّة بالنسبة لها ، منها : أن لكل تنمية ثمناً وجهداً ، ثم أيضاً لا بدّ من تحديد أهداف واستراتيجيات للتنمية ، مع الإشارة أيضاً إلى أن ميدان التنمية لا يقتصر فقط على القضايا الاقتصادية ، بل يشتمل على الخدمات الاجتماعية ، من صحةٍ وتعليمٍ وإعلامٍ وإسكانٍ ، وهناك أيضاً ما يمكن أن نضيفه إلى ذلك وهو التنمية الخُلُقية ، والتي تعني التنمية الفكرية والعقدية والتعليمية .

وهذا أمر مهم للغاية ، فالعقيدة أساس الدين ، والفكر الإسلامي مرتكزٌ إلى الإعلام بكل جوانبه ، والناحية التعليمية مهمةُ كل إعلامي يسعى لتحقق الخير ، والحق في هذه الحياة .

٨ـ **الترويح والترفيه** : لقد شرع رسول الله ﷺ الترويح قولاً وفعلاً ، وذلك من خلال التزامه بهما في أوقات معينة ، ودون إهدار للوقت ، وطغيان على البرامج الجادّة ، ومع الالتزام بالضوابط الشرعية والخلقية ، بعيداً عن الأخلاق القرآنية ، أخلاق قدوتنا ومعلمنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فهي أخلاق في عقيدة ، وعقيدة في أخلاق ، مصدرها

خالق السموات والأرض ، تلك الأخلاق التي على الإعلام أن يتبنّاها أيضاً منهجاً وإطاراً وهدفاً وغاية ، أخلاق ربانيّة ، تتسم بالاتزان والسوية ، والاعتدال والحدود الواضحة المحدّدة ، أخلاقٌ تجمع بين الدين والدنيا[1] .

أما ما نلاحظه على شاشات الصحون المقعرة فأمر مخزٍ للغاية ، ويتسم بالنأي عن الخُلُق القويم ، وبثّ الفواحش والمنكرات ، لتشيع في الذين آمنوا ، ويتم تدمير أخلاق الأمة ، فلا تقوم لها قائمة البتة .

٩ـ الإقناع بأهمية الاتجاه الروحي : فمن أول وأهم وظائف الإعلام الإسلامي ، محاربة النزعة المادية والإلحادية السائدة في العالم الآن ، وإبراز أضرارها ، وبيان أنها السبب وراء الكثير من مشكلات العصر ، بل وأمراضه المستعصية ، سواءً كانت هذه الأمراض أمراضاً جسمانية أو أمراضاً معنوية ، فقد استَشْرَتْ هذه الأوبئة بمختلف الطرق ، وبصورة سريعة تنذر بالهلاك والدمار ، وتهدّد العالم بأسره .

والسبب في إخفاق هذه الاتجاهات والنظريات المادية أنها من صنع البشر ، ومن بنات أفكارهم ، وما يضعه البشر من نظريات وأفكار قد تصلح اليوم ولكنها لا تصلح للغد ، وقد تصلح لفرد معين ولكنها لا تصلح لمجتمع متكامل .

ذلك أن نظرة البشر غالباً ما تكون نظرة قاصرة ، حتى وإن نبعت من أفكار الفلاسفة أو قادة الفكر والرأي ، لأنهم في النهاية بشر يخطؤون ويصيبون ، لذا نجد هذه الأفكار تحتاج إلى التغيير والتعديل والتطوير دائماً في مواجهة حاجات المجتمع ، ومعالجة مشكلات أفراده .

---

(١) للتوسّع يراجع : نحو إعلام إسلامي ، علي جريشة ص : ٩٢ـ٩٤ ، الإعلام : قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي ، محمد منير سعد الدين ص : ٤٩ـ٥٢ .

وبالتالي ، فهذه الأنظمة والمذاهب الداعية إلى الإلحاد والعلمانية ، والرافضة للأديان السماوية ، والمتّجهة نحو المادية الصِّرفة ، قد أثبتت إخفاقها ، بما نتج عنها عن عدم استقرار نفساني ، وبما تولّد عنها من فراغٍ روحي في حياة الأفراد والشعوب .

ووظيفة الإعلام الإسلامي هو بيان إخفاق هذه المذاهب والنظريات ، وإظهار الحلول المناسبة والملائمة للتخلّص من ويلات ومشكلات هذه الاتجاهات في كل مكان من العالم ، وسوف يلقى هذه الاتجاه قبولاً لدى الجماهير والشعوب المختلفة والتي تعاني من أخطار تلك النظريات ، خاصة وأن جمهور الإعلام الإسلامي ليس هو جمهور المسلمين فقط ، وإنما هو البشر كافةً ، في كل زمان ومكان ، ذلك أن الإسلام رسالة عامة ، لا يختصّ بها شعب دون شعب ، وإنما هي رسالة إلى كل البشر كلهم ، ولإسعاد البشرية كافةً .

غير أنه يجب على القائمين على أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية ، أن يقوموا بحسن عرض هذه الأفكار ، مستخدمين الأساليب الجذّابة في بيان ما يعانيه من مشكلات ، مستمدين مادتهم في ذلك من واقع حياة هذه المجتمعات ، ضاربين الأمثلة المناسبة والحيّة والمعاشة على ذلك .

كما يجب أن يعرضوا في المقابل كيفية حلول هذه المشكلات بالاتجاهات الروحانية ، والالتجاء إلى الدين ، ويجب أن يكون ذلك حسب برامج مدروسة ومنظمة ومخططة ، فيجب أن يتمّ الترغيب في الاتجاه إلى الأديان بصفة عامة .

وقد رأيتُ منذ مدة قريبة فيلماً يُعرض على إحدى القنوات العربية ، يسرد قصة مغنٍّ قد أرخى لنفسه الحبل على غاربه ، وذات مرة التقى مصادفة بفتاة متدينة ، تصلي وتدعو وتبتهل إلى ربها ، فأُعجب بها ،

ولاقت مكاناً في قلبه ، فكان أن غيَّرتْ حياته نحو ترك المنكرات ، والبعد عن الفاحشة وما يُغضب الله تعالى ، وأخيراً انتصر الإيمان على الانحراف ، وصلح أمرُ الرجل ، وتزوج الاثنان ، وعاشا تحت سقف إيماني واحد .

إن عرض مثلِ هذه الأفلام مفيد للغاية ، ويحقق وسيلة إعلامية إسلامية ، بحيث تُحل المشكلات عن طريق الرجوع إلى الله عز وجل .

ثم يلي ذلك في خطوة قادمة إبراز أهمية الإسلام على أنه الدين المناسب ، والاتجاه الملائم ، مستخدمين في ذلك أيضاً الأساليب الجذّابة ، والأمثلة والأدلة المقنعة .

كما يجب استخدام اللغات المختلفة والسائدة لدى الجمهور المخاطب ، سواء كان ذلك كتابة أو بالوسائل المسموعة أو المرئية ، مع القيام بدراسة هذه الجماهير دراسة واعية للوقوف على أنسب اللغات والأساليب والأوقات الملائمة للاستماع ، بل المحبّبة لذلك ، بل الأوقات التي يكون فيها الفرد مستعداً نفسياً لتلقّي معلوماتٍ كهذه ، ثم استخدام الوسائل المناسبة للوصول إلى الجمهور في كل مكان .

وإذا تمّ ذلك بحماسةٍ ووعيٍ ودراسةٍ ودرايةٍ وحنكةٍ من القائمين على الإعلام الإسلامي ، فإنه سوف يجد رواجاً ، وردّ فعلٍ قويٍّ من الجماهير المستقبلة ، لأنها تعاني من المشكلات في حياتها ، وسوف تجد الحل لهذه المشكلات والخلاص من كثيرٍ مما يؤرق الفرد في حياته اليومية ، وبالتالي سوف يُعمل الفرد فكره ، ويستجيب لهذه الرسائل الموجّهة لتخليصه من هذه المعاناة .

وهنا يجب على رجال الإعلام الإسلامي أن يقوموا بقياس ردود الفعل في كل مجتمعٍ من المجتمعات التي يوجّهون إليها إرسالهم وإعلامهم ،

وبالتالي تعديل خططهم وبرامجهم ورسائلهم بما يتناسب مع الجمهور .

١٠ـ التعريف بالحياة الآخرة والسعادة فيها : إذا كانت النظم الإعلامية في مختلف أنحاء العالم ، أيّاً كانت اتجاهاتها ، تهدف إلى إسعاد البشر في حياتهم الدنيا ، وتعليمهم وإرشادهم وحثّهم على ما يفيدهم ، والعمل على إمتاعهم وتسليتهم ، وقضاء أوقاتهم فيما يحبون ، فإن الإعلام الإسلامي يتميّز عن هذه الأنظمة بأنه يعمل على إسعاد البشر في دنياهم بكل ما فيها وعلى مختلف مناحيها ، ويعمل في ذات الوقت على إسعادهم فيما بعد الموت .

ذلك أن الإسلام دين يتعلّم فيه الفرد أن الدنيا ليست هي نهاية المطاف ، ولا هي كل شيء ، وإنما هي دار مؤقتة ، بنيت على النقص لا على الكمال ، وأن الفرد فيها يتمتع بأنواع قليلة من المتع ، وأنها مزرعة للآخرة التي هي الحياة الأبدية الخالدة ، وعلى هذا فإن الأعمال الدنيوية والسلوكيات المختلفة فيها معلّقة بأمور العبادات ، وهذه وتلك تتعلق بالسعادة في الحياة الآخرة .

ومن وظائف الإعلام الإسلامي أن يقوم بإقناع المسلمين وغير المسلمين بهذه الحقائق ، حتى يكون الفرد راضياً بحياته الدنيوية ، غير ساخطٍ على الوضع الذي يعيشه ، إن كان فقيراً أو مريضاً أو محروماً من أيّ نوعٍ من النعم .

فهو وإن كان كذلك إلا أنه يتمتع بغيرها ، وهو وإن كان كذلك إلا أنه يعيش حياة دنيوية مؤقتة يجب عليه الرضا بها ، والقناعة بما فيها ، من قليلٍ أو كثير ، وعليه أن يحسن معاملاته مع الناس ، وأن يحسن أخلاقه وسلوكياته حتى ينعم بالحياة الآخرة التي هي دار الخلود ، والتي يكون النعيم فيها من أجمل وأبهى الصور ، حيث فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ

سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وقد قام الإعلام الإسلامي بهذه المهمة منذ بدايته ، فلم يكن القرآن الكريم يَعِدُ المسلمين بالملك أو الجاه أو الثروات الطائلة أو الحدائق الغنّاء أو نحو ذلك جزاء لأعمالهم الدنيوية ، وإنما كان يعدهم بالسعادة في الحياة الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد : ٢١] .

والمتأمل في التراث الفكري لأئمة الصحابة والتابعين والعلماء على مرِّ العصور ، يلحظ كماً كبيراً من الدعوات الإعلامية للتزود من أجل الآخرة ، فالدنيا جسر يعبر عليه المؤمنون ؛ لينالوا الخير والجزاء الأوفى عند الله تعالى .

ففي كل عملٍ من أعمال الخير ، سواء كان صلاةً أو صياماً أو زكاةً أو صدقةً أو حسن خلق ، أو جهاداً ، أو صبراً على الأذى أو تحمّل مشاق أو نحوها ، نجد الإسلام يبيّن أن لذلك جزاءً دنيوياً ، وأن له أيضاً جزاء في الحياة الآخرة بعد الموت ، بل إن الجزاء الأخروي أكثر من الجزاء الدنيوي ، وأفضل ، ويتصف بالديمومة والاستمرار .

ففي أمر الصدقات ـ مثلاً ـ والتي هي أصل التكافل الاجتماعي ، ودعوة إلى أن تعمّ السعادة البشر كافةً ـ فالفقير يسعد لما يصله من مال ، والغني يسعد برضا الناس عنه ومحبتهم له ، ومع ذلك يبيّن الله تعالى أنه يرضى عن العبد بسببه ، ويخلفه عليه ، ويدخره له ليسعد به في الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ

عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[1] [البقرة : ٢٦١ـ٢٦٣] .

وفي مقابل ذلك يبيّن أن البخيل بالمال له فقر وضنك في الدنيا ، وعليه عذاب ووبال في الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤ـ٣٥] .

ومن وظائف الإعلام الإسلامي إذن أن يرشد الناس إلى ما يسعدهم في حياتهم الآخرة وفي قبورهم بعد موتهم ، وأن يبيّن لهم أن هذه الأعمال الصالحة والعبادات ، كما أنها تتعلّق بما يفيدهم في انتشار السعادة والأمن والاستقرار على وجه الأرض ، فإنها كذلك تتعلّق بسعادتهم في الحياة الآخرة ، وعلى النقيض من ذلك فإن ترك العبادات يؤدي إلى ترك الأعمال التي من شأنها استقرار الإنسان في حياته الدنيا ، أو إلى معيشته في قلقٍ وزعزعةٍ روحية ، وطيش في الحياة ، وحمق في البعد عن الحق ، ومن شأنها أن تؤدي به في الآخرة إلى جهنم ، وإلى العذاب المقيم .

غير أنه في هذه الوظيفة يجب عدم الإسراف في جانب التخويف ؛ وإهمال جانب التبشير والرجاء ، لأن الإسلام يسعى لبناء شخصية الفرد بشكل متوازن وإيجابي ، فالاعتدال والوسطية سفينة النجاة .

ومن القرآن الكريم يجب أن يتعلّم رجال الإعلام الإسلامي ، حيث لم يذكر العذاب إلا وتذكر المغفرة ، ولم يذكر النار إلا وتذكر الجنة ،

---

(١) « مناً » : عدّاً للإحسان ، وإظهاراً له . « أذى » : تطاولاً وتفاخراً بالإنفاق ، أو تبرماً .

وهكذا . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠] .

وقوله سبحانه : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] [غافر : ٣] .

فيجب ألا يسرف رجال الإعلام الإسلامي في جانب التبشير فحسب ، حتى لا يتواكل الناس ، وأيضاً ألا يسرفوا في جانب التخويف فحسب حتى لا ييأس الناس[2] .

* * *

(١) « التوب » : التوبة . « ذي الطول » : الغنى ، أو الإنعام والتفضل .

(٢) الأسس العلمية والتطبيقية ـ مرجع سابق ـ ص : ٩٥ـ٩٩ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

أثر الإعلام على الإسلام والمسلمين

تبيَّنت لنا أهمية الإعلام ، خاصةً في هذا العصر ، حيث تعتمد كل المذاهب والأفكار والإيديولوجيات عليه ، وذلك من أجل نشر مبادئها ، وشرح أهدافها .

وتتجلى أهمية الإعلام في هذا الزمان أكثر من أي زمن ، حيث إن الإسلام يتعرّض لأشرس هجمة مخططة مدعومة من قوى الضلال والشر في العالم ، بحيث يسعى الكفرة جميعاً إلى إبعاد المسلمين عن دينهم ، وسلخهم من كل القيم .

مصداق ذلك ما أخبرنا عنه الخالق سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] وقوله سبحانه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة : ١٠٩] وقوله عز وجل : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] لذلك فلا سبيل لمواجهة الغزو الفكري الهمجي إلا بالتركيز على أهم وسائل الإعلام الإسلامي ، مع وحدة الصف ، والتضامن ضد أعداء الإسلام .

ولا تقتصر مهمة الإعلام الإسلامي الهادف على عكس الأحداث ، إنما لا بدّ من الانتقاء حسب القواعد الإسلامية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

لكن السؤال الملحّ هو : ما هي العلاقة القائمة بين الإعلام وبعض العلوم الأخرى ؟

لنأخذ بعض الأمثلة ، عسى أن نصل إلى حقيقة علاقة الإعلام بالعلوم الأخرى :

أ ـ العلاقة القائمة بين الإعلام والأمن :

تبدو العلاقة بينهما علاقةً متداخلة ، وملخّص ذلك : (أنه بلا إعلام إيجابي رشيد لن يكون هناك أمن حقيقي ، كما أنه بلا أمن وطيد يشيع في المجتمع فلن ينهض أي إعلام ، فالإعلام من حيث تأثيره على الأمن يمثل سلاحاً ذا حدّين ، فهو من جهة عنصر فعّال في استتباب الأمن وتوطيده ، كما أنه من جهة أخرى قد يكون أحد أهم عوامل القلاقل والاضطرابات والانحرافات ، ومن جهة أخرى فإنه إذا لم يتوافر الأمن في ربوع الأمة ، فلن يتمكن شخص أو جهاز من الدعوة أو الإعلام .

وفي الواقع العملي نجد لأجهزة الإعلام تأثيرات سلبية عديدة على موضوع الأمن ، ولا تكاد أجهزة الأمن تكفّ عن شكواها من جرّاء ذلك .

ويمكن الإشارة إلى بعض الجوانب السلبية في علاقة الإعلام بالأمن فيما يلي :

كثيراً ما نجد الروايات البوليسية التي تفتح الأذهان ، وتثير اهتمام الناس وفضولهم ، خاصة الشباب منهم والمراهقين نحو الجريمة ، بما تقدمه من براعة في ارتكابها وإصرارٍ عليها ، ومقدرةٍ في التخفّي عن أجهزة الأمن ، مما يحرّك لدى الشباب غريزة المحاكاة ، بل وحبّ الظهور ، كما أنها تفتح لدى من لديه استعداد للانحراف أسلوب ارتكاب الجريمة ، ولا غرو أن الناس شاهدوا في بعض البلدان في الآونة الأخيرة مواد تلفزيونية عن الجريمة والتفنن في ارتكابها والوسائل المبتكرة لها من

مواد مخدّرة وغيرها ، ثم كان عقب ذلك مباشرة ممارسة عملية واقعية لما شاهده الناس على شاشات التلفزيون ، وقد أذيع أخيراً برنامج على شاشة التلفزيون البريطاني يتناول ارتفاع معدل الإجرام في أمريكا بمناسبة محاولة اغتيال الرئيس ريغان ، وأشار إلى الدافع الذي جعل المتهم يعمد إلى اغتيال الرئيس فكان مشاهدة فيلم ، وفيه ممثلة تعشق من يغتال شخصية سياسية بارزة ، ولذا أراد أن يثبت هذا المتهم أن بإمكانه تحقيق ذلك . . . كذلك فإن أجهزة الإعلام قد تمارس هذا الأثر السلبي على فكرة الأمن بأن تعرض في برامجها أجهزة الأمن في صورة ضعيفة هزيلة لا تقوى على مواجهة الإجرام والانحراف ، بل قد تعرضها في صورة تتعايش فيها تلك الأجهزة مع الجريمة وأربابها ، مما يولد لدى بعضهم دوافع الإقدام على الجريمة دون خوف أو وَجَلٍ .

كذلك فإنها قد تُظْهِر رجال الأمن كما لو كانوا طائفة أخرى من غير أفراد الشعب لا همّ لهم إلا تتبع المواطنين ، والإيقاع بهم ، وإلصاق التّهم بالأبرياء منهم ، مما يولّد في نفوس الناس كراهية رجال الأمن وعدم التعاون معهم! إذن يمكن لأجهزة الإعلام أن تُجهض فكرة الأمن ، وتقلل من فعالية أجهزته إن لم تحبطها .

لذلك لا نعجب عندما نسمع تلك الشكوى الصادرة من مدير شرطة مدينة (منابوليس) عندما حُرمت هذه المدينة من الصحف عدة شهور ، فيقول : (صحيح أن الأخبار تنقضي ، ولكن فيما يتعلق بعملي ، فأرجو ألا تظلّ بها صحف إلى الأبد ، فالجرائم تقلّ دون صحف لا تتحدث عنها ، وبالتالي لا تروّج لها بين الناس) .

ولقد اعتدّ الإسلام بما يمكن أن يجلبه الإعلام من تأثيرٍ سيئ على الأمن إذا ما انحرف به عن هدفه الأصل ، يقول تعالى : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] [الأحزاب : ٦٠] .

ومعنى ذلك أن عملية الإشاعات وبثّ الأراجيف والأقوال غير الصحيحة ، يمكن أن تحدث تأثيراً سلبياً على الأمن والاستقرار .

وكل ما تقدم كان شيئاً مبسطاً عن تأثير الإعلام في الأمن ، فماذا عن تأثير الأمن في الإعلام ؟!

يُعتبر توافر الأمن ، وخاصة أمن الداعي وأمن الإعلامي مقدمة أو شرطاً ضرورياً كي يمارس رجل الدعوة ورجل الإعلام مهمة الدعوة ومهمة الإعلام بفعالية وموضوعية .

ولذلك حرص الإسلام كل الحرص على تقديم ضمانة الأمن للأفراد عامة وللدعاة خاصة ، يقول الرسول ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر »[2] ، وموطن الشاهد في الحديث الشريف أنه جعل من يصدع بالحق أمام السلطان ويعلنه ويستشهد في سبيله أفضل الشهداء .

ومن المواقف المحمودة لمعاوية رضي الله عنه أنه استمع برحابة صدر وسَعَة قلب لهذه الدعوة الإعلامية الجريئة ؛ التي وجهها له أبو مسلم الخولاني[3] .

فيحدّثنا التاريخ أن أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية وعنده جمع من الناس ، فقال : السلام عليك أيها الأجير!

---

(١) « المرجفون » : المشـيعون للأخبار الكاذبة . « لنغرينكم بهم » : لنسلطنك عليهم .

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤٤) والترمذي (٢١٧٤) وابن ماجه (٤٠١١) .

(٣) هو عبد الله بن ثُوَب : تابعي ، فقيه عابد زاهد ، نعته الذهبي بـ« ريحانة الشام » . أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره . وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة . هاجر إلى الشام . وتوفي سنة (٦٢هـ) .

فقالوا له : قل : السلام عليك أيها الأمير .

فأعاد قوله السابق وكرره ، فقال معاوية : دعوا أبا مسلم ، فإنه أعلم بما يقول .

فقال أبو مسلم : إنما أنت أجيرٌ استأجرك ربّ هذه الغنم لرعيها ، فإن أنت هَنَأْتَ[1] جَرْبَاها ، وداويت مرضاها ، وحبست أُوْلاها على أخراها ، وفَّاك سيدها أجرك ، وإن أنت لم تفعل ذلك عاقبك سيّدها!![2] .

وخير ضمانةٍ لتوافر الأمن في الإعلام : أن يكون الإعلام إعلاماً حرّاً ينشد الحق لذاته ، وليس مجرّد ذيل لحاكم وبوقٍ له ، مهما كان انحرافه وسوء سياسته!!

وإذا كانت حرية الإعلام ركناً أساسياً لتوافر الأمن فيه وفي أجهزته ، فإن هذه الحرية في التعبير والتوجيه والنقد البنّاء لا يتأتّى لها الوجود طالما ليس هناك من يظلّل الداعي والداعية .

ولعلّ من أدقّ ما يصوّر العلاقة بين الأمن وحرية الإعلام وإبداء الرأي للحاكم أو غيره قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ٧٦] .

تصوّر الآية مَنْ فَقَدَ حريته وفَقَدَ إمكانية إبداء رأيه بأنهُ أبكم ، لا يستطيع ولا يقدر على الكلام وعلى إبداء الرأي بالنقد أو المعارضة ، وهو بذلك مشلول الحركة والفعالية ، بل إنه لا يأتي بخير .

بينما الشخص الذي أُمِّنت له حريته ، وعاش في ظلال الأمن ، فإنه

---

(١) هَنَأْتُ البعير : طليته بالهناء ؛ أي : القَطِران . لسان العرب ، مادة : (هَنَأَ) .

(٢) السياسة الشرعية ، ابن تيمية ص : ١٧ ـ ١٨ .

ينطلق مباشرة ، آمراً بالعدل ، مشيراً بالخير والحق ، موضحاً العيوب والمثالب ، في الاتجاهات والسياسات .

وهكذا نجد الآية الكريمة توحي وترمز ـ ضمن ما توحي وترمز ـ إلى ضرورة توافر الأمن والحرية ، حتى يتأتّى الإعلام ، وإبداء الرأي والنقد والتوعية .

إذن :

هناك تأثير قوي وفعال بين الأمن وبين الإعلام ، بحيث تؤكّد الوقائع على أنه لا أمن بلا إعلام ، ولا إعلام بلا أمن .

مما يترتّب على ذلك كله ضرورة قيام تنسيقٍ وتعاونٍ كامل بين أجهزة الأمن ، وأجهزة الإعلام ، بكل الوسائل والإمكانات المتوافرة ، حتى لا يُبطل أحدهما جهود الآخر[1] .

ب ـ الإعلام والدعاية :

أصبحت الدعاية الآن علماً من العلوم الحديثة ، له أصوله وأسسه وفنونه ، كما أصبحت لها قوتها الهائلة في التأثير على الأفراد والجماعات ، وشكلاً من أشكال الضغط الاجتماعي ، تستخدمه الدول على اختلاف مذاهبها .

ومن تعريفات (الدعاية) تعريف (لندلي فريزر) حيث يقول :

(إنها نشاط أو فن يستهدف استمالة الناس ليتصرّفوا بطريقة ما كانوا سيتصرّفونه في غياب الدعاية ، والدعاية وإن كان المقصود بها هو العمل في المجال السياسي العالمي ، إلا أنها قد تكون دعاية دينية ، كالتي

---

(١) باختصار وتصرّف من : الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية ، فهد الدعيج : ٢٤٣ـ٢٥٤ .

تمارسها الإرساليات الدينية ، وقد تكون اقتصادية كالذي نراه في شكل إعلانات ، وقد تكون سياسية محلية أيضاً ، مثل الدعاية التي تمارسها الأحزاب السياسية ومختلف جماعات الضغط الأخرى .

والدعاية تستميل السلوك الإرادي بوسائل الترغيب ، أي إن محاولات التأثير بوسائل العنف أو الإكراه لا تدخل في المعنى المقصود بهذه الكلمة) .

وذلك أن الدعاية تُشكِّل تأثيراً قوياً ومُوحِّداً للجماهير ، على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية ، ثم إن استمرار الدعاية وتلوُّنها بأشكال مختلفة ، وألوان متعددة يكون لها من التأثير الشيء الكثير ، كنقطة ماء تنزل باستمرار على صخرةٍ ما ، فتؤثر فيها مع مرور الزمن ، مهما بدت الصخرة قوية صُلْبة .

أما أهم الفروقات بين الإعلام والدعاية ، فيمكن حصرها فيما يلي :

١ـ إن الإعلام يقدّم حقائق مجرّدة بعضها سارٌّ وبعضها غير سارٍّ ، ورجل الإعلام ليس له غرض معيّن فيما ينشره على الناس ، اللهم إلا الإعلام في ذاته ، بينما تهدف الدعاية إلى غاية معينة .

٢ـ تختلف الدعاية عن الإعلام في أن مصدر المعلومات في الدعاية يكون غير معروف ، أما في الإعلام فإن مصدر المعلومات يجب أن يكون معروفاً دائماً .

٣ـ يحاول الإعلام توسيع المشاركة الجماهيرية ، بهدف التوصّل إلى إشراك الجمهور في وضع القرار ، أما الدعاية فإن هدفها هو إضعاف روح المشاركة .

٤ـ ينهج العاملون في الدعاية أساليب قد لا تتفق مع الأخلاق والمثل

العليا ، كالكذب والتمويه ، أو المبالغة أو الاختلاف أو الشائعات المغرضة للوصول إلى أهدافهم ، والتأثير في الجماهير بأفكارٍ وآراء معينة ، لتسلك سلوكاً معيناً ، بعكس الإعلاميين ، فإنهم يتحرّون الصدق والأمانة ، وينهجون أسلوباً أخلاقياً .

٥ـ يعمل الإعلام على تقديم مختلف وجهات النظر ، مهما اختلفت أشكالها بهدف تمكين الجمهور من إصدار حكمه على الأشياء ، أما الدعاية فإنها تعرض وجهات النظر التي تتفق مع أغراضها فحسب ، بهدف الاستحواذ على عقول الناس والتأثير في نفوسهم .

٦ـ تعتمد الدعاية في عملها على التعبيرات البرّاقة ، والصيغ المحفوظة ، ولهذا فإنها تُعدُّ عملاً سريعاً ، لأنه ليس لديها الوقت الكافي لشرح الحقائق ، وتبيان كُنْه الأمور .

أما الإعلام فإنه يعتمد على الحقائق المستندة على الأرقام والإحصائيات .

٧ـ تعتمد الدعاية على الإيحاء والتقليد ، وتستغل في ذلك سلبية الفرد ، ولا تدع له فرصة للتفكير الهادئ المتعمق ، ولكنها تعمد إلى تضييق منطقة التردّد لدى الأفراد والجماعات قدر الإمكان ، مستغلة في ذلك جهل الجمهور بالحقائق ، وبالتالي تشويه أفكاره ومعلوماته .

ومن هنا نشير إلى أن الدعاية لا تهدف إلى عَرْض الحقيقة ، فيداخلها الكذب والتزوير والإثارة بقصد تحقيق غايات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك ، ولكن دون الاهتمام بمضمون الحقائق ، فالهدف الأوحد للدعاية هو التأثير في الجمهور ، وتوجيه الرأي العام .

٨ ـ إن الدعاية لا يهمّها إلا تحقيق غايات معيّنة ، مع التضحية بكل شيء ، في سبيل تحقيق هذه الغايات ، فهي لا تُعْنى بإيقاظ الجماهير كما

هو الحال في الإعلام ، بل على العكس من ذلك تعمل على تخديرهم ، وشلّ قوة التفكير فيهم ، وإيقاظ غرائزهم ، والعبث بها عن طريق القصص الخرافية ، والصور العارية ، والأكاذيب المكررة ، وزاد الطين بِلَّة في هذا العصر ؛ فتم إدخال الأطفال في كثيرٍ من الدعايات ، وأثَّر ذلك على تربيتهم ، من خلال تعليمهم ألواناً من الكذب والزور .

جـ ـ الإعلام والإعلان :

الإعلان : هو نشر المعلومات عن السلع والخدمات أو الأفكار في وسائل النشر المختلفة ، بقصد بيعها أو المساعدة في بيعها أو تقبّلها أو الترويج لها ، نظير دفع مقابل ، وحيث إن المعلن يدفع ثمن النشر ، فإنه يتحكم في رسالته الإعلامية وفي طريقة نشرها ، والمكان الذي يشغله والوقت الذي تظهر فيه ، وينظر بعض الكُتَّاب إلى الإعلان على أنه أحد وسائل الدعاية التجارية لتسويق السلع والمنتجات ، ونقطة الخلاف بين الدعاية والإعلان ، هي أن مصدر المعلومات في كثيرٍ من الأحيان يكون غير معروف في حالة الدعاية .

ووجه الخطورة في الإعلان هو قيامه بالتأثير في حرية النشر والإعلام ، والضغط على المسؤولين في أجهزة الإعلام المختلفة ، بهدف المحافظة على سمعة المعلن ، مهما تعارض ذلك مع الصالح العام ، والحقائق الثابتة .

لكن هناك خلاف حول مدى أهمية الإعلان والدّور الذي يؤدّيه في المجتمع . حيث يرى بعضهم أن الإعلان إسرافٌ لا مسوِّغ له ، فهو يُفسد ذوق الشعب ، وهو يستخدم أساليب غير أخلاقية ـ حتى لو أدّت إلى تهييج الغرائز الجنسية ـ . . . لكن هناك من يعتقد أن هذا ليس إلا تجنٍّ على الإعلان ، ويرون أن الإعلان أداة مهمة لزيادة إنتاج وبيع وتوزيع

السلع ، وكثيراً ما يقوم بتوضيح وظيفة الهيئات والمؤسسات في المجتمع حتى يكون الناس على علم ودراية بمجتمعهم ، أي : إن الإعلان يمارس دوراً مهماً في المجال السياسي والاجتماعي والتجاري .

وبالتالي ، فالإعلان هو قوة اقتصادية مهمة في المجتمع لا يمكن أن يعيش دونه في العصر الحديث الذي أصبح الإعلانُ سمةً من سماته ، كما أنه لا تستغني عنه أيُّ دولة من الدول مهما اختلفت مذاهبها .

د ـ الإعلام والعلاقات العامة :

وضع معهد العلاقات العامة البريطاني تعريفاً لهذا المصطلح ، جاء فيه : هي الجهود الإرادية المرسومة المستمرة ، التي تهدف إلى إقامة وتدعيم تفاهم متبادل بين هيئة ما وجمهورها . وحدّ (إيفي لي) مهمة العلاقات العامة بقوله : إن العلاقات العامة مسؤولية كبرى ، تتطلب دراسة الأحوال السائدة والعمل على الإصلاح ، ثم إعلام الجمهور بذلك ، ولا بدّ أن يكون القول مدعّماً بالعمل ، فلا بدّ من الإصلاح أولاً ، ثم إخبار الناس بما يحدث فعلاً بكل أمانة وصراحة .

وقد أوضح (إيفي لي) أن مهمة العلاقات العامة مهمة مزدوجة ، فهي تبدأ بدراسة اتجاهات الرأي العام ، وتقديم النصح للجهة بتغير خططها وتعديل سياستها لخدمة المصلحة العامة ، ثم يأتي النصح للجهة بتغيير خططها وتعديل سياستها لخدمة المصلحة العامة ، ثم تأتي المهمة الثانية وهي إعلام الناس بما تقوم به الجهة التي تخدمها العلاقات العامة ، من أعمال تهمّ الناس وتخدم مصالحهم ، أي : إن العلاقات العامة أصبحت علماً حديثاً يعتمد على الدراسات النفسية والاجتماعية وعلى الإحصاءات الدقيقة ، وذهبت الأيام التي كانت فيها العلاقات العامة مجرّد دعايات كاذبة ، ولكنها أصبحت وظيفة أساسية في المجتمع تضع

المصلحة العامة دائماً في المقدمة ، وصار لها فروع تعليمية في المعاهد والجامعات ، ويُشرف عليها أساتذة متخصصون ؛ لتخريج جيل يُحْسِن فن العلاقات العامة بكل تفاصيلها وسُبُلها المختلفة .

هـ ـ الإعلام والتعليم :

يتّفق الإعلام والتعليم في أن كلاً منهما يهدف إلى تغيير سلوك الفرد ، فبينما يهدف التعليم إلى تغيير سلوك التلاميذ ، نجد الإعلام يهدف إلى تغيير سلوك الجماهير .

وهكذا ، فالإعلام والتعليم يقومان بالتقريب بين مختلف أفراد الشعب ، من حيث التعليم ، والأفكار ، والوعي ، والإدراك ، والتربية ، وتقارب وجهات النظر .

ويتميّز جمهور التعليم عن جمهور الإعلام بالتجانس ، فالتلاميذ في مختلف مراحل التعليم متجانسون ، من حيث التحصيل والخبرات السابقة والسن والزمن ، أما جمهور الإعلام فهو الشعب كله ، أو قطاع منه ، وبالتالي يختلف هذا الأمر كلياً عن جمهور التعليم .

ويتميز جمهور عملية التعليم عن جمهور عملية الإعلام ، في أن الأول مقيّد ، في حين أن الثاني طليق .

ويتميّز التعليم عن الإعلام بصفة المحاسبة على النتائج ، ويتميز التعليم عن الإعلام أيضاً من حيث الدافع إليه.. إلى ما هنالك من اختلافات كثيرة ، مما يجعل لكلٍّ من التعليم والإعلام سماته الخاصة ، وصفاته التي يتفرد بها[1] .

* * *

(١) باختصار وتصرّف من « الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية » محيي الدين عبد الحليم ص : ٦٩ـ٨٠ .

obeikandl.com

الفصل السادس

الإعلام العالمي وأثره على الأمة الإسلامية

منذ القدم ، هناك حرب خفيّة تارة وعلنية أخرى ، يشنّها الأعداء على الإسلام ، لكن أشدّها حقداً ما يأتينا من قبل اليهود!

مصداق ذلك قول الله تعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

ولذلك فالتحدّيات ـ منذ بعث خاتم الأنبياء صلوات الله عليه ـ مريرة وكبيرة ومتنوعة ، لكن أهمها أثراً في الأمة الإسلامية سلاح الإعلام ، ولأن هذا الموضوع واسع جداً ، لذلك سنأخذ مثالين فقط ، هما :

أ ـ الإعلام اليهودي وأثره في الأمة الإسلامية :

في العهد النبوي خرج بعض الإعلاميين ـ الشعراء ـ اليهود ، ووقفوا ضد دعوة التوحيد ، وكان على رأسهم (أبو عفك) ، حيث اتخذ من هجاء الرسول ﷺ مادةً خاماً لقصائده ، وأُنذر مرة ومرة لكن دون جدوى ، ولم يسكت إلا حين قتله سالم بن عمير رضي الله عنه .

ثم حمل الراية الحاقدة (كعب بن الأشرف) ، فراح ينشد الأشعار باكياً قتلى المشركين في بدر ، ثم راح يتغزّل ببعض نساء المؤمنين ، وكانت نهايته على يد محمد بن مسلمة رضي الله عنه .

وخسر اليهود خسائر كبيرة ، حيث أُخرجوا من حصونهم وقلاعهم ، وطُردوا من الجزيرة العربية ، نتيجة استخدامهم (الإعلام) استخداماً سيئاً وضاراً ؛ ممَّا عاد عليهم بالشر والضَّرر .

ودار الزمن دورته ، وانطلقت الصيحات اليهودية لقيام وطن يجمع شتات اليهود ، وكان على رأس اليهود المنادين بذلك (هرتزل) ، وركز على ثلاث جبهات هي : تركيا مركز الثقل في العالم الإسلامي آنئذٍ ، ومصر مركز إشعاع العلم الأزهري ، وفلسطين أرض الميعاد ـ حسب زعمهم ـ .

ونجحوا في تأسيس الدعاية الصهيونية ، واهتموا بكل ما له علاقة بوسائل الإعلام ، حتى إن العالم الغربي قد تعاطف معهم ، إلى درجة أن القناعات وصلت إلى حدّ جعل كاتباً فرنسياً معروفاً هو (بليزيه) يقول : (اليهود في منطقة الشرق الأوسط ، هم روّاد الحضارة الغربية . . . وإن الفرنسي لم يضع في اعتباره أن يجعل إقامته في شمال إفريقية دائمة أبدية ، أما اليهودي فيجب أن يضع نصب عينيه ، أن بقاءه وإقامته في تلك المنطقة لازمة وضرورية ودائمة . . . وهي لازمة للمجتمع الإنساني ، وضرورية لحفظ الحضارة الغربية من الخطر العربي ، والوحشية العربية ، وهي دائمة لأنها تعبّر عن الحقيقة التاريخية) .

واستخدم اليهود لإقامة دولتهم أولى الخطوات وهي النفوذ الإعلامي في العالم ، وذلك لإسكات صوت المعارضة ، وقد ورد ذلك في بروتوكولاتهم :

١ـ أن نَكُمَّ أفواه كل المطبوعات ، ونشدّ وثاقها ، حتى لا يبقى شيء من الكتب والنشرات حرّاً في الحملة علينا .

٢ـ لن يكون أحد ناشراً أو طابعاً ، إلا إذا حصل على شهادة أو

رخصة ، تكونان عُرضةً للإلغاء ، إذا وقعت منه مخالفة للقانون .

٣ـ لا ريب أن الأدب والصحافة أعظم قوى التثقيف ، وهذا ما يحمل حكومتنا على امتلاك أكثر الدوريات ، ليكون في وسعنا إبطال التأثير السيئ الذي تحدثه كل صحيفة فردية مستقلة[١] .

ولم يدع اليهود فرصةً تمرّ إلا استفادوا منها ، واضعين نُصْب أعينهم الأمل في تحقيق الدولة اليهودية ، ليجمعوا فيها يهود العالم ، واعترافاً بالحقيقة المرّة فقد وصلوا إلى الهدف ، وعلى حدّ تعبير (شيريت سبريدوفيتش) : (فإن المرشّحين لرئاسة الجمهورية في أمريكا ، يتبارون لكسب ودّ أصغر يهودي ، وقد لا نغالي إذا قلنا : إن الولايات المتحدة (ربيبة إسرائيل) وليس العكس ، وإن رئيس وزراء إسرائيل ، هو الذي يرجّح كفّة المرشح ليغدو رئيساً ، والرئيس الأمريكي ما هو إلا أفضل قارئ لما يكتبه مستشاره اليهودي ، هذا مع أن معظم الأمريكيين يكرهون اليهود ، لكن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العام ، عن طريق الإذاعة ، والتلفزيون ، والصحف ، ودور النشر ، والسينما ، وما زالوا يجهدون للإجهاز على المجتمع الأمريكي ، بترويج الشذوذ الجنسي ، والحشيش والأفيون ، وجميع الصرعات التي تظهر متلاحقة في المجتمع الغربي)[٢] .

وقد يتساءل الإنسان عن مدى سيطرة اليهود على تكوين الرأي العام لصالحهم ؟! والجواب أنهم استطاعوا السيطرة على وسائل الإعلام الغربي ، وذلك بامتلاكهم شبكات التلفزيون الرئيسة ، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية : (فهناك ثلاث شبكات تلفزيونية أساسية في

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم ، أحمد عبد الغفور عطار ص : ٢٤٦ .
(٢) حكومة العالم الخفيّة ص : ٣١ـ٣٢ .

الـولايـات المتحـدة ، وهـي (سـي . بـي . أس) و(إن . بـي . سـي) و(آب . بـي . سـي) ، وتمتلـك الأولـى خمـس محطـات يتبعهـا ٢٠٠ محطة ، والثانية يتبعها ١٨٧ محطة ، والثالثة يتبعها ١٢٧ محطة) .

(ومن نظرة سريعة على إدارة شبكات التلفزيون الثلاث الرئيسة هذه ، نجد أسماء مثل :

(لوينارد جولدنسون) مدير محطة (أي . بي . سي) .

و(فرد سلفرمان) : مدير محطة (إن . بي . سي) .

و(وليان بالي) : مدير محطة (سي . بي . أس) .

وهؤلاء كلهم يهود!!)[١] . وهكذا استطاع اليهود من خلال قوة الأخطبوط الإعلامي العالمي التابع لهم ، استطاعوا الوصول إلى أكبر المراكز الإعلامية ، ليقدّموا للعالم ـ خاصة العربي ـ ما يريدون ، من أخبار ، وبالتالي فلإسرائيل أكثر من مركز إعلامي في الخارج ، وهي :

١ـ مركز الإعلام الإسرائيلي في نيويورك ـ الولايات المتحدة .

٢ـ مركز الإعلام الإسرائيلي في باريس ـ فرنسا .

٣ـ مركز الإعلام الإسرائيلي في بيونس أيرس ـ الأرجنتين .

٤ـ مركز الإعلام الإسرائيلي في زيورخ ـ سويسرا!![٢] .

وقد قدّم الدكتور (ألف كرو) أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية في بيروت ، دراسة علمية إحصائية عمَّا نشرته خمس من الصحف الأمريكية الكبرى عن الصهيونية والصحافة ، جاء فيها :

---

(١) للتوسع يراجع : عولمة الإعلام والثقافة ، الدكتور محمد عمر الحاجي ص : ١٢٧ ـ ١٦٩ .

(٢) أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، منذر عنبتاوي ص : ١٦٣ .

تم رصد أكبر الصحف الأمريكية هي : (النيويورك تايمز) و(النيويورك هيرلدتربيون) و(الكريستيان سينس مونيتور) و(شيكاغو تربيون) و(تيرديت نيوز) خلال فترة محدودة ، وحول واقعة محدودة ـ أي الدراسة ـ وهي عدوان الإسرائيليين على (قبية) في ١٤ تشرين ١/ ١٩٥٣م ، وهي واقعة وضح فيها جانب الحق ، وأدانت الأمم المتحدة إسرائيل إدانةً صريحة ، ومع ذلك فقد أظهرت الدراسة ، أنه من بين مجموع (١٠٣) نشرات إخبارية ، لم يتجاوز ما اعتمدوا فيها على مصدر عربي سوى (١١) ، بينما بلغت الأخبار الصادرة عن تل أبيب (٣٢) ، وبلغ عدد الأخبار الواردة من مصادر أخرى ، كالأمم المتحدة ولندن وواشطن ومصادر غير معروفة (٦٠) .

وأما بالنسبة للمقالات التي نشرتها تلك الصحف ، فمن بين (١٠٢) مقالاً انتصر (١٩) فقط للعرب ، و(٣٧) لإسرائيل ، واتخذ (٤٦) موقفاً محايداً ، أما تحليل الحجج ، فمن بين (٢١) حجّة وردت في التعليقات ، كانت أربع فقط تعبّر عن وجهة النظر العربية!![1] .

إن مثل هذا العمل الإعلامي للصهيونية يدلُّ على الأثر الكبير الذي تحققه وسائل الإعلام في إثبات وجهات النظر ، وإقناع الآخرين بصحتها ، ولو لم تكن كذلك .

(وهناك مثل آخر نتبيّن منه مدى نشاط اليهود الإعلامي في العالم :

حسب الإحصاء الرسمي الذي أُعِدَّ يوم ١٥ أيلول/ ١٨٨٧م ، لمدينة بيونس أيرس ، عاصمة الأرجنتين من بين (٤٣٣) ألفاً ـ عدد السكان ـ كان هناك (٣٦) ألفاً من اليهود .

وبعد ثلاثة وسبعين عاماً جاء في الدليل الإسرائيلي الصادر سنة

---

(١) الدعاية الصهيونية ، حامد محمود ص : ١٠٧ـ١٠٨ .

١٩٦١م : أصبحت نسبة المجتمع اليهودي في عاصمة الأرجنتين ٢٥٠ ألف نسمة ، لهم ٥٠ ألف خط من الخطوط التليفونية ، ويملكون (١١٩) جمعية خيرية وثقافية ورياضية .

ويملكون أيضاً :

(٧) معاهد ثقافية تجمع رجال الفكر والعلم من غير اليهود لتسخيرها لخدمتهم!

(١٣٥) حديقة أطفال ومدرسة ابتدائية!

(١١٤) اتحاداً وجمعية دينية!

(٤٠) جريدة ومجلة وثماني دور نشر!

(٣٨) معبداً وثلاث محطات إذاعية مرئية!

إضافة إلى نقابة للمؤلفين اليهود!!)[١] .

هذا وغيره لا بد أن يدفع الأمة العربية والإسلامية للعناية بالإعلام ، وتكبير مساحاته عبر العالم ؛ لما يحققه من مردودٍ غني لا يُقاس ولا يُعد ولا يحصى .

ولو أخذنا مثلاً الخلافة العثمانية ، وكيف استطاع اليهود التغلغل في إعلامها وجيشها ؛ لوجدنا شيئاً عجباً :

استطاع بعض رجالات اليهود أن يتوصّلوا إلى أخذ رخصٍ بفتح المدارس اليهودية ، وإقامة المحافل الماسونية في تركيا . . . ، ثم راحوا يتّصلون بالسفارات الأجنبية ، وعقدوا العزم على الإطاحة بالخلافة الإسلامية ؛ ليفوزوا بساحةٍ واسعة من التأثير ، ومن ثم الهيمنة على مقدرات الأمة .

---

(١) اليهودية العالمية ، عبد الله حلاق ص : ٥٧ ـ ٥٨ .

لقد استخدموا في سبيل ذلك كل الوسائل والطرق الملتوية ، فتارة وقفوا مع روسيا القيصرية ضد السلطنة ، وتارة وقفوا معها ، وتارة ثالثة شنّوا الحروب الإعلامية ضد رموز تركية . . . ، وهكذا إلى أن كانت خلافة عبد الحميد الثاني ، فحاول اليهود أن يأخذوا إذناً بالسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين ، وأرسلوا لتلك المهمة (هرتزل) والحاخام (موشي ليفي) وبتوسط من السفارة الألمانية ، ولما قابلوا السلطان عبد الحميد ، تقدم (هرتزل) إلى السلطان برشوة كبيرة ، وقال :

مولانا صاحب الشوكة ، جلالة السلطان ، لقد وكلنا عبيدكم اليهود ، بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء ، عبيدكم المخلصون اليهود يقبّلون التراب الذي تدوسونه ، ويستعطفونكم الهجرة إلى فلسطين المقدسة ، ولقاء أوامركم العالية الجليلة ، نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية!

وبعد أن استمع إلى العرض بكل هدوء ، أمر مرافقه أن يطردهم من القصر ، وأصدر على الفور أمراً بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين[1] .

وعندئذ صرّح (هرتزل) بما يلي :

(أقرر على ضوء حديثي مع السلطان ، أنه لا يمكن الاستفادة من تركية ، إلا إذا تغيّرت حالتها السياسية ، وذلك بدخولها في حرب ، أو وقوعها في مشاكل دولية ، وأعتقد أنه لا بدّ من كسب عطف الحكومة الإنجليزية على المسألة الصهيونية) .

ووضعت الخطط لتشويه صورة السلطان ، وللقضاء على الخلافة الإسلامية ، واستخدم اليهود في سبيل ذلك كل وسائلهم الإعلامية :

---

(١) أسرار الانقلاب العثماني ، مصطفى طوران ص : ٨ـ٩ .

لقد تحرّكت الصحف والمجلات اليهودية في العالم ـ وخاصة في العالم الغربي ـ لتصوِّر مدى الظلم الذي يعاني منه اليهود في السلطنة ، وصوّروا قصر السلطان عبد الحميد بؤرة فساد وفجور ، ووكراً للدسائس والمؤامرات ، ولم تترك صورة قذرة إلاّ وألصقتها به .

وأمام هذه الحملة الدعائية الواسعة ، التي استغلّتها الأوساط اليهودية ، استطاعت أن تغرِّر بعددٍ من ضباط الجيش ، ودفعت بهم للسّير خلف الضباط الماسون ، الذين غرّروا بقائد موقعهم (محمود شوكت باشا) ، وأقنعوه بضرورة إزاحة السلطان ، فاقتحم محمود عاصمة بلاده ١٩٠٨م ، واعتقل السلطان عبد الحميد ، وساقه إلى سالونيك ، وهكذا آل الأمر لأقطاب يهود الدونمة ، فراحوا يعملون على تشجيع الدعوة المغرضة للقومية العربية .

وجاء دور كمال أتاتورك ، حيث تظاهر بالإسلام ، ولبس الجبة ، وحمل السبحة الأنيقة ، فانخدع به الكثير ـ وخاصة من المسلمين ـ ومنهم أقطاب الحركة السنوسية ؛ الذين وقفوا معه كأحمد الشريف ، وأوقفوا بعض حركات المعارضة ، ريثما يتفرغ كمال أتاتورك لتثبيت حكمه ، وإرساء دعائم ملكه ؛ الذي خدع به كثيراً من المتعقِّلين ، ولما استتب له الأمر ، بدأ بتنفيذ خطته ، فأبطل السلطنة ، وألغى الخلافة ، وأبطل المحاكم الشرعية ، وألغى وزارة الأوقاف ، وقرّب كبار اليهود الأتراك!!

وكان للإعلام اليهودي الدور الكبير في التمجيد بالفاتح والمصلح والقدوة والعبقرية و. . . كمال أتاتورك!

وجاء من بعده (مندريس) ففعل عكس ما قام به أتاتورك : لقد أعاد للشعب حريّة الرأي ، وسمح للعلماء العاملين بالنشاط المسجدي ، وأعاد المعاهد والمدارس ، وأنشأ عشرة آلاف مسجد ، واثنين وعشرين

معهداً لتخريج الوعّاظ ، وسمح بإصدار المجلاّت ، والكتب الإسلامية ، وأخلى المساجد التي حوّلتها الحكومة مخازن غلال ، وأعلن أن صلة تركية بالإسلام لن تنقطع . . . . ، فماذا فعلت اليهودية مع (مندريس) ؟!

لقد سخّروا كل وسائلهم الإعلامية ضده ، يقول الدكتور يوسف أبو هلالة : (أخذت الأبواق اليهودية تسلّط دعايتها ضد (مندريس) وحكمه ، وتولّى (أحمد أمين يالمان) اليهودي العريق ، وصاحب جريدة (وطن) قيادة المعركة ، وساعده أقطاب الدونمة في البلاد ، واستعرت الحملة ضد مندريس ، حتى اضطر مندريس أن يعتقل (بالمان) ويقدّمه للمحكمة ، ويغلق صحيفته أكثر من مرة ، بسبب الحملة الظالمة الكاذبة التي شنّها عليه ، وفي عام ١٩٦١م يحدث انقلاب عسكري يُطيح بمندريس ، ويُسَاق بعد ذلك إلى المشنقة ، ويخرج عدوّه (بالمان) من السجن ليواصل معركة اليهودية من أجل فصل تركية عن الإسلام ، وأقلام الصحفيين اليهود تفصح عن هذه الخطة ، وتجلّيها للناس ولا تخاف أحداً ، وعلى حدّ تعبير عبد الله التل في كتابه (الأفعى اليهودية) :

(لقد كان السبب المباشر الذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة ، سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإسلامي ، والجفاء والفتور التدريجي في علاقاته مع إسرائيل) .

واستمر اليهود في تسخير وسائل الإعلام لإضعاف الإسلام في تركية ، وتقوية الجانب الإلحادي الذي يخدم مصالحها ، ومن أشهر الصحف التي يمتلكها اليهود في تركيا :

١ـ جريدة حرّيت ، التي توزّع يومياً مليون نسخة .

٢ـ جريدة كون إيدن ، صباح الخير ، وهي جريدة يومية تطبع خمسمئة وسبعين ألف نسخة يومياً .

٣ـ جريدة ملّيت ، التي تتبع مجلة الفن الأسبوعية .

٤ـ جريدة جمهوريت اليسارية ، برافدا التركية .

يقول الكاتب محمد جلال كشك : (لقد قامت المنظمة الصهيونية بتمويل صحيفة (التركي الفتي) ، وعمد الصهيونيون إلى وضع رئاسة تحريرها بيد ناشر اسمه (جلال نوري بك) أحد الوجهاء النافذين ، وابن وزير تركي .

وحين انضمّ (فلاديمير جابوتنسكي) إلى مكتب الآستانة ، بناءً على توجيه من (جاكوبسن) كانت شبكة الصحف التي يسيطر عليها الصهيونيون في منتصف عام ١٩٠٩م تضمّ بالإضافة إلى صحيفة التركي الفتي مجلة أسبوعية تصدر بالفرنسية ، اسمها (الفجر) يرأس تحريرها (دايفيد الكانون) وبالطبع كانت أهم إنجازات الثورة المباشرة : وقف العمل بقرارات منع الهجرة الجماعية ، والاستيطان اليهودي في فلسطين ، وسرعان ما فتحت المكاتب الصهيونية في فلسطين ، وبدأت زراعة الوطن الإسرائيلي كما يقول (أسعد زريق) وسط مظاهر الفرح ، بتدشين الدستور العثماني)[١] .

أما ما يتعلّق بالنشاط الإعلامي اليهودي في مصر ؛ فهو يتجلّى في عدة نشاطات ، أهمها :

أ ـ المؤسسات الثقافية :

فأسسوا بعض الجمعيات (جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية) و(جمعية أصدقاء الجامعة العربية) ، والتفّوا حول كبار كتّاب مصر .

---

(١) القومية والغزو الفكري ص : ٢٧٢ـ٢٧٣ .

(وقد نجح اليهود بالفعل في اكتساب ثقة وتعاطف ومشاركة كبار الكتاب والأدباء المصريين ، مثل : طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، ولطفي السيد ، وغيرهم . وفيما يتعلّق بطه حسين ، فقد تتلمذ عليه كثير من الطلبة اليهود ، أمثال (إسرائيل ولفستون) الذي أعدّ رسالة الدكتوراه عن تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وقام بالإشراف عليه الدكتور طه حسين ، وقد ركّزت هذه الرسالة على إظهار فضل اليهود على العرب)[1] .

وطه حسين له تاريخ طويل في العداء للأمة العربية وللإسلام ، وفي السعي الحثيث لنيل رضا الغرب والصهيونية ، ويكفيه سوءاً أنه ألف كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » وصاهر الأجانب ، وأعطوه شهادة عالية ، ومهروها بأختامهم ! !

(وهكذا استطاع اليهود ، بنشاطهم الثقافي ، أن يوجدوا بين الكتّاب في مصر من يتعاطف معهم ، ويقتنع بقضيتهم ، فإذا ما جاءت الطامة الكبرى ، وهتك السَّتر عن الخبيء ، وكانت اتفاقية (كامب ديفيد) رأينا زمراً من الكتَّاب والشعراء يباركون هذه الخطوة الملهمة ، ويشيدون باليهودية ودولتها ، ومن هؤلاء مثلاً : (نجيب محفوظ) الكاتب القصصي المعروف ، الذي أدلى بأحاديث إلى صحافة إسرائيل وإذاعتها ، تُشيد بالصلح مع إسرائيل ، وتهاجم المناهضين للصلح ، وتدعو للتنازل عن جزء من التراب الوطني ، في سبيل السّلام مع إسرائيل !

و(أمينة السعيد) : رئيسة مجلس إدارة (الهلال) ورئيسة تحرير مجلة (المصور) القاهرية التي زارت إسرائيل ، وقامت بإجراء اتصالات مع الصحفيين والكتّاب السياسيين اليهود !

---

(١) الصحافة الصهيونية في مصر ، عواطف عبد الرحمن ص : ١٨ .

و(موسى صبري) : رئيس مجلس إدارة جريدة الأخبار ، الذي كان من أكبر المدافعين عن سياسة التعاون مع إسرائيل!

و(أنيس منصور) : رئيس تحرير مجلة أكتوبر ، ورئيس مجلس إدارة (دار المعارف للنشر) في القاهرة ، الذي نظّم حواراً بين ممثلي الحزب الوطني الحاكم في مصر ، وبين ممثلي حزب العمل الإسرائيلي برئاسة (شيمون بيريس)!

و(توفيق الحكيم) وغيرهم. . . ، وقد أقيمت ندوة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ، اشترك فيها (إبراهيم البحراوي) المدرّس للأدب العربي بجامعة القاهرة ، و(ثروت أباظة) نائب رئيس اتحاد الكتّاب المصريين ، و(سهير القلماوي) أستاذة الأدب العربي بجامعة القاهرة ، و(زكي نجيب محمود) الكاتب بجريدة الأهرام ، وغيرهم كثير)[1] .

إضافة إلى ذلك ، فقد استطاع اليهود امتلاك صحفٍ ومجلات تصدر باسمهم ـ في بلد الأزهر الشريف ـ منها : العائلة ، أبو نظارة ، الاتحاد الإسرائيلي ، الأخبار الماسونية ، الأطفال المصورة ، إسرائيل ، التـعيرة ، التهذيب ، بريد العاصمة ، التمييز المصري ، الشجاعة ، الشمس ، الطرحة ، الكليم ، المنصف. . . !!

وهكذا امتدّ النشاط الإعلامي الصهيوني في فلسطين ، فامتلكوا كبريات الصحف والمجلات ، مثل : بريد اليوم ، صوت العثمانية ، هادار ، السلام ، عين دافار ، أومر ، وغيرهم .

وتبنّوا أفكار بعض الكتّاب الملحدين : كماركس ودارون وفرويد

---

(١) مجلة الوطن العربي ، عدد (٢٠٧) ، تاريخه ٣٠ك/ ١٩٨١ ص : ١٧ .

ودريكايم ، فروّجوا لأفكارهم وامتدحوها إلى حدٍّ عجيب ، وشككوا في القرآن والسنة[1] .

ب ـ الإعلام الشيوعي وأثره في الأمة الإسلامية :

كما هو معروف ، فالشيوعية فكرة إلحادية تتبنّى شعاراً مفاده : (لا ربّ في السماء ، ولا نبيّ في الأرض) ، وتفلسف مسألة الحياة وما بعدها بالقول : (إن هي إلا أرحامٌ تدفع ، وأرضٌ تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ، ولا جنّة ولا نار بعد الموت ، إنما الجنة هي التي تضعها الشيوعية على الأرض!!) .

واندفعت الشيوعية تحارب أصل الإيمان ، وذلك عن طريق حقدٍ لا مثيل له[2] : فدمّرت المساجد ، وحوّلت بعضها إلى إسطبلات للحيوانات ، وبعضها الآخر مخازن للخمور!! وصودرت المصاحف ، ومُنعت الصحف الإسلامية ، وشُرّد العلماء ، وضُرب على الناس بسورٍ ليس له باب ، ظاهره كباطنه!!

ولكي تنتشر الشيوعية في العالم ، قاموا بتأميم الوسائل الإعلامية ـ خاصةً في الاتحاد السوفياتي ، وفي الصين ، وفيما كان يُعرف بالمنظومة الاشتراكية ـ!

ويتحوّل الإنسان في ظل الشيوعية إلى ما يُشبه الآلة ، فهو مجرّد من الروح والقيم والإحساس والأخلاق ، وهو ليس إلا رقماً في مجموعة

---

(١) للتوسع في هذا المبحث يراجع : الإعلام اليهودي المعاصر ، يوسف أبو هلالة ص : ٣٥ـ٦٧ .

(٢) يُنظر كتاب « شبهات حول الإسلام » لمحمد قطب ، فصل : الإسلام والشيوعية ، وكتاب « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين » لمحمد الغزالي ، ففيهما دراسة تفصيلية علمية لعداء الشيوعية للإسلام .

الأرقام الكبيرة!! وأما عن الشعارات البرّاقة ، التي لا رصيد لها على أرض الوقائع والأحداث ، فقد أثبتت الوقائع بأن ذلك ليس إلاغطاء يحجب الحقيقة التسلّطية للحكومة الشيوعية ، والحزب الملحد .

(وهكذا ، اعتبر لينين أن الجريدة أداة دعاية وإثارة جماعية للفتن ، وأنها أداة تنظيم جماعي أيضاً .

وأما السينما فهي مدخلنا الثقافي والفني إلى الجماهير ، وعشرة سينمائيين مهرة ، يدعمون الحزب في حقله ، يرجحون بعملهم هذا على تأثير مليون كتاب .

وعرّف ستالين الصحافة بأنها :السلاح الوحيد ، الذي يستعين به الحزب ، للتحدث إلى الطبقة الكادحة بلغتها ، كل يوم وكل ساعة) .

وهكذا ، فالإعلام الشيوعي إعلامٌ موجّه ، مراقب رقابة صارمة .

ولذلك هيمنت الشيوعية على كل وسائل الإعلام ، ففيما كان يسمى بـ : الاتحاد السوفياتي مثلاً :

بلغ عدد الصحف الصادرة (٦٣٩) صحيفة يومية ، و(٨٠٥٥) غير يومية .

ومن أشهر الصحف هناك : (البرافدا) : الناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . و(إزفستيا) : الناطقة باسم جهاز الشباب الشيوعي ، و(ثرود) : باسم جهاز النقابات ، و(رابوتنكيا) : جريدة شهرية للنساء .

إضافة إلى بعض الصحف التي خصصت لمحاربة الإسلام ، كصحيفة (الاخزبيسلار) الشهرية ، وصحيفة (دين زسلار) ، وصحيفة (فنيم دين) .

ومن الأمثلة على ما تنشره الصحافة من انتقادات للدين الإسلامي ما ورد على صفحات جريدة (برافدا) الرسمية ، يُعتبر الدين من مخلفات قرون بعيدة عنّا ، فهو عدوّ للعمال يضرّ بمصالحهم ، لذا فقد وجب إلغاؤه ، فالشعب السوفياتي أنجز البرنامج العظيم للبناء الشيوعي ، ولا يمكنه العودة إلى العادات والطقوس الدينية الرجعية ، التي ولدت يوم كان الإنسان ضعيفاً أمام قوة الطبيعة ، التي كاد يستسلم إليها ، اعتقاداً منه بأن هذه الأعمال السحرية ، تساعد على التودّد إلى الأرواح الشريرة ، لكي يضمن نمو زرعه وضرعه) .

وهكذا الأمر في مجال الكتاب ، فقد تم التشجيع على طباعة الكتب التي تهاجم الإسلام، وتمجّد الإلحاد ، وخصّصت الأموال الطائلة لذلك!

فعن لجنة العقيدة والدعوة التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي تفرّعت لجنة خاصة لوضع (الميثاق) والدستور للمناطق الإسلامية ، التي ورثها الحكم السوفياتي عن الاستعمار القيصري ، وقد ترأس هذه اللجنة يهودي اسمه (إيزنر) وضع أكثر من مئة كتاب وكرّاس وبحث ، كل ما فيها حاقد وسخيف وشنيع ، وفيما يلي عناوين مؤلفاته :

(محمد خرافة رجل لم يكن) ، (الحج دسيسة استعمارية) ، (رجعية الإسلام) ، (دراسة في عقائد الشرق)!!

إضافة إلى ذلك ، فقد تمّ طبع كثير من الكتب ، ووزعت ملايين النسخ منها على الطلاب ، فيها من الحقد والتزوير على الإسلام الشيء الكثير ، مثال ذلك كتاب : (الإسلام) لكيموفيتشي ، جاء فيه :

(الكتاب القرآن ، الذي ينظر إليه المسلمون باحترام ، على أنه كتاب مقدّس ، مع الأحاديث والشريعة الإسلامية ، جاءت في أثناء إقطاعية القرون الوسطى ، وقد اتسمت الأحكام التي نصّ عليها الكتاب

والأحاديث بطابع اضطهاد الطبقات الشعبية ، وبررت من جهة ثانية ، أعمال العنف التي تعرّضت لها الشعوب المستعبدة)!!

(إن طقوس الإسلام وعقائده وأعياده ، والصوم والحج ، مستمدّة من الرواسب البشرية المتفسّخة ، التي تتجلّى في الأديان الشرقية القديمة)[1]!!

يضاف إلى ذلك أيضاً : التركيز على صناعة كُتَّاب مستشرقين ، يتظاهرون أنهم يكتبون في مجالات الدين ، وحقيقة أنهم يدسّون السمّ الزعاف في العسل . من هؤلاء مثلاً : كراتشكوفسكي ، وفينيكوف ، وزاحوذير ، وفلاديمير لوتسكي[2] .

أما على مستوى الإذاعات والسينما وما إلى هناك ، فحدّث ولا حرج عن الكمّ والكيف ، من أعداد كبيرة موجهة لمحاربة الأديان ، ومن برامج رهيبة . . . بل قد استخدمت كل الأساليب الدعائية إلى درجة أن الباحث ـ آنئذٍ ـ لم يعد يستطيع الوصول إلى الحقيقة : (لقد وجّه ستالين وأعوانه الدعاية الكاذبة بشكل متواصل ، وبدون انقطاع ، أو أي مراعاةٍ للحقيقة والصّدق ، واستعملوا هذا الأسلوب على النطاق المحلي ، بل تمكنت الدعاية السوفياتية من توسيعه إلى نطاق دولي ، فما أن تطلق (الإزفستيا) أكذوبة في (فلنتيا) حتى تتناقلها مباشرةً الصحف في باريس ، واستوكهولم ، وبروكسل ، ولندن ، ونيويورك ، ومالبورن .

---

(١) إن كل ما ذُكر يدل على جهل مطبق بالإسلام وعقيدته الواضحة الصافية ، ولكن النفس البشرية عندما تنقاد للهوى والشيطان ؛ فإنها تأتي بما ينافي التعقل والتدبر ؛ لأن الهوى يُرْدي ، واتباع خطوات الشيطان يحمل بذور القضاء على بني الإنسان ، وتحطيم قدراته العقلية ، وملكاته الفكرية .

(٢) ماذا ننتظر من أُناس تربّوا في حجر الشيوعية ؟! وكفروا بالخالق العظيم ، لا بد أن يحاربوا منهجه وكتابه الحق المبين .

وهكذا يتم توزيع الملايين من النسخ التي تحمل الأكاذيب المضلّلة ، وهي المعلومات الوحيدة التي يتلّقاها الملايين من العالم السوفيتي ، ولا يبقى أمام المثقفين ثقافةً واسعة ، الذين يعادون الفاشية إلا تصديق الصحافة ، لأنها الوسيلة الأولى لاستقاء المعلومات ، ومن هنا يشعر المرء بأن العالم اليوم يعاني من عملية ضخمة للتضليل اللاأخلاقي ، وهذا يجعلنا نقرّ ونحن نشعر بالأسى ، بصدق كلمات (تروتسكي) عندما اعتبر دعاية الكونترون الستاليني : زهري الحركة العمالية!!)[1] .

أجل!

كانت وسائل الإعلام الشيوعية مسخّرة لمحاربة الأديان ، والسخرية من أتباعها ، ووصفهم أوصافاً لا تليق ، فقد أثّرت تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الرأي العام العالمي ، وعلى المسلمين داخل الاتحاد السوفياتي أو خارجه ، وداخل الصين وخارجها ، مثال ذلك : نشرت صحيفة (ثن بات باد) في هونغ كونغ في منتصف الستينيات هذا النداء :

(من الآن فصاعداً ، لن يُسمح لكم ـ أي للمسلمين الصينيين ـ بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم، سنطردكم وندمّركم. . . ولا يمكنكم من الآن فصاعداً ، أن تضيعوا وقتكم في الصلاة. . ويجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية. . . ولن يسمح لكم بأن تقرؤوا ما يُسمى بالكتاب المقدس (القرآن) . . . وألغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك. . . . وكفّوا عن الصلاة. . وألغوا الختان. . . وادرسوا أفكار (ماو) . . . . وإذا لم تندموا فسنطردكم وندمركم ، ويجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية ، وندمّرها معكم. .)!![2] .

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غالي كار ص : ٢٥٣ .

(٢) للتوسع يراجع : الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، محمد الغزالي ص : ٣٨ ـ ٤٩ .

كانت تلك نبذة مختصرة عن الأثر الكبير للإعلام على الأمة الإسلامية ، فهل وعى المسلمون ذلك ، فانتبهوا ، وتحصنوا ضده ، ووضعوا البدائل الإسلامية ، أم سيظلّون في سبات عميق ؟![1] .

إن كل ما يَنْدَاح على الساحة الإسلامية ـ بشكل عام ـ يدل على استغراق الأمة في سباتها العميق ، وكأن القائمين عليها كالنعامة ، يضعون رؤوسهم في الرمال ، وأجسامهم بادية للعيان ، ظانِّين أن أحداً لم يَرَهُم!!

لقد آن الأوان للعناية بالإعلام الإسلامي ، وتوسيع نطاقه في داخل الأقطار الإسلامية وخارجها ، ليصار إلى درء الشبهات ، وردّ المطاعن ، وشرح الحقائق لكل ذي عينين وعقل .

* * *

(١) للتوسع يراجع : الإعلام الشيوعي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامية ، يوسف أبو هلالة ص : ٤٧ ـ ٧٩ .

obeikandl.com

الفصل السابع

أهم النظريات الإعلامية

في القرنين التاسع عشر والعشرين هيمنت على جميع جوانب الحياة نظم سياسية عالمية ، فتطبّعت كل جوانب الحياة بطابع تلك النّظم ، على اختلاف مشاربها ، وتعدد اتجاهاتها .

فالجانب الاقتصادي ، والجانب الثقافي ، والجانب الاجتماعي ، وكذلك الجانب الإعلامي ، كلها غدت تابعة للجانب السياسي .

فمثلاً أصبحت وسائل الإعلام وضوابطه وأنواعه وأساليب الرقابة فيه تابعةً للنظام السياسي السائد في كل دولة .

ومع مرور الزمن تبيّن للجميع أن خير ما يمثّل المجتمعات هي وسائل الإعلام ، فهي الألسن الناطقة للأنظمة التي تحكمها وتتحكم فيها ، ولذلك لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال الفصل بين خصائص الإعلام ووظائفه في مجتمع ما ، والنظام السياسي العام المطبّق في هذا المجتمع .

كل هذا أدّى ـ وفي منتصف القرن العشرين ـ إلى ظهور نظريات إعلامية ، والمهم أن تكون مواكبةً للنماذج السّائدة في العلوم السياسية وقتئذٍ .

وفي أواخر الستينيات ظهرت نظريات مختلفة في الإعلام ، تمثّل نوعاً من تنظير العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع الذي توجد فيه .

وأهم الدراسات التي كان لها دور في بحث أسس هذه النظريات الدراسة التي أجراها الإعلاميون الأمريكيون (سبيرت) و(شرام) و(بترسون) عام ١٩٥٦م ، وقد نالت هذه الدراسة اهتماماً كبيراً من الباحثين ، وتصدّرت الساحة النظرية في مجال النظريات الإعلامية رِدْحاً من الزمن ، وتركت آثارها الكبيرة على كل الأعمال التنظيرية التي تلتها[١] .

ولدى البحث يتبيّن أن الأصل في النظريات الإعلامية نظريتان اثنتان هما : نظرية السلطة ، ونظرية الحرية .

ثم تولّد عنهما نظريتان أخريان ، هما : نظرية المسؤولية الاجتماعية ، والنظرية السوفيتية الشمولية .

أما الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ فقد حاولت تبنّي نظرية إعلام التنمية ، لتكون المعبّر عنها ، لكن المشكلة التي اعترضت تلك الدول هي : أيّ أساليب التنمية يجب أن تتّبع ؟

رأى بعضهم أن تسير على المنهج الاشتراكي ، بينما رأى آخرون أن تواكب الرأسمالية ، وقال قسم آخر : بل يجب اتباع منهج وسط بين النظامين!

لكن الذي حدث على أرض الواقع ، أن الدول النامية التي تتبع المنهج الاشتراكي تنظر إلى الإعلام كأداة جوهرية لعملية التنمية السياسية والاجتماعية ، لذلك لا بدّ أن تخضع لسيطرة الدولة ، وتخطيطها ، وتوجيهها .

أما الدول النامية التي تسير في فلك الرأسمالية فنجد أنها تعطي أهمية

---

(١) للتوسّع يراجع : النظريات المعيارية الإعلامية ، عثمان العرابي ص : ٢٦ـ٢٧ .

كبرى لتعليم الصغار ، ومحو أمية الكبار ، ومع ذلك فهي لا تعطي أهمية مماثلة لوسائل الإعلام ، إذ لا تفكّر النخبة الحاكمة في هذه الدول في التأثيرات الهدّامة للإعلام[١] .

إذن : لا بدّ من إطلالة سريعة على النظريات الإعلامية المعيارية الأربع ، خاصةً ما يتعلّق بمبادئها ، وخصائصها ، وتاريخها .

وبعد ذلك نقارن ما توصلنا إليه مع النظرية الإعلامية في الإسلام .

عسى أن نتبيّن الفوارق الكبيرة بين ما كان من وضع البشر ، وبين ما جاء من عند خالق القوى سبحانه وتعالى .

أ ـ نظرية السلطة في الإعلام :

يُطلق مصطلح (نظرية الإعلام) حالياً على الفروض العلميّة التي توصّل إليها الباحثون في العملية الإعلامية ، والتي توضّح طبيعة التفاعل بين مكوناتها والقوى التي تتحكّم فيها ، ودور أجهزة الإعلام في هذه العملية[٢] .

١ ـ تاريخها :

تعدّ نظرية السلطة أولى النظريات الإعلامية نشوءاً ، فلقد نشأت في إنكلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، واستمرّت في الدول التي مُورس فيها حكم سلطوي .

وللفلسفة السياسية لفكرة السلطة تاريخ طويل ، يمكن تتبّعه حتى نصل إلى نظرية أفلاطون الذي يعدّ أكبر مناصر للقانون والنظام ، والمدافع عن حكم الأرستقراطية الفاضلة ، والذي كان يرى أنه عندما تقسم السلطة

---

(١) نظم الاتصال الإعلامي في الدول النامية ، جيهان رشتي ص : ٨ ـ ٩ .

(٢) الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، جيهان رشتي ص : ٦ـ٧ .

بالتساوي في الدولة ، فإن بذور انهيار وتفكّك الدولة تكون قد بدأت ، وإن الجماهير غير قادرة تعليماً ونفسياً وعقلياً على اتخاذ قرارات تتعلّق بأمورهم وحياتهم ، ويعلّل أفلاطون ذلك بالقول : (ما دام الإنسان يحب أن يحكم غرائزه وشهواته عن طريق التحكم العقلي ، فإن على حكّام الدولة بالمثل أن يمنعوا المصالح المادية والعواطف الأنانية للجماهير من أن تسيطر على المجتمع)[١] .

ويتبيّن أن أفلاطون يعطي من خلال نظرته إلى المجتمع ، الحكام قدسية عليا ، ويداً مطلقة في التحكم بأمور الشعب وأحواله ، ويخوّلهم حقّ التّصرف في مقدراته وحريته وإمكاناته ، بحجة أنه غير قادر على التفكير السليم والمنطقي ، فيما يخصّ شؤون الأمة وسياساتها .

واستمرّت نظرية السلطة على النهج الذي رسمه أفلاطون حتى عصر الطباعة ، ولكن بأشكالٍ مختلفة ، على يد فلاسفة آخرين ، من أمثال (ميكيافيلي) الذي دعا إلى إخضاع كل شيءٍ لأمن الدولة ، كما رأى أن الرقابة الصارمة على الحوار والمناقشة وعلى نشر المعلومات في المجتمع لها ما يسوِّغها ، ما دامت تخدم مصالح الدولة ، أي إن الغاية تسوِّغ الوسيلة .

وقد أسهم كتّاب كثيرون ، منهم (توماس هوبز ، وهيغل ، ونيتشه) في تطوير مفهوم نظرية السلطة ، وصولاً إلى تطبيقها في كثير من الدول السلطوية ، والديكتاتوريات ، مثل ألمانيا النازية ، وإسبانيا في عهد فرانكو .

وعلى الرغم من انحسار تطبيق هذه النظرية حالياً بسبب غياب الحكم الدكتاتوري التسلّطي ، فإنها تبقى صالحةً ومعبّرةً عن كل حاكمٍ يُمارس

---

(١) الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية ، أحمد بدر ص : ٣١٥ .

سلطة دكتاتورية مهيمنة على مقدرات شعب ما وحريته وإمكانياته[١] .

٢ـ مبادئها :

ترتكز نظرية السلطة على أن الحاكم المطلق أو الحكومة المطلقة ، هما وحدهما صاحبا الحق في الهيمنة على أمور الأمة ، أو تصريف أمور العامة ، وأن الإنسان شخصية غير مستقلة ، أو غير قادرة على بلوغ المستويات الرفيعة ، إلا تحت رعاية الدولة .

ومعنى ذلك أن سعادة أيّ شعب واستقراره ، يكمنان في التسليم المطلق للحكام والحكومة ، والانقياد بالولاء والطاعة ، ومن ثم يكون الفرد أداةً في خدمة الحاكم والحكومة ، التي تعتبر نفسها صاحبة الحق الأول في تقرير الحقائق أو المعلومات التي تصل إلى أذهان الناس[٢] .

وثمّة ثلاث ركائز استندت إليها هذه النظرية ، هي[٣] :

١ـ مذهب الحق الإلهي : الذي اعتمد عليه الملوك في الحكم وتوارثه النبلاء ، واحتفظ هؤلاء عن طريقه بأوضاعهم ومراكزهم السياسية .

٢ـ الكنيسة الرومانية : وقد كان لها في القرون الوسطى سلطات واسعة وهيمنة كبيرة شملت الملوك ، حتى إنها عزلت بعضهم وحرمت آخرين من الجنة ، حسب أوهامهم التي ابتدعوها ، وسبب هذه الهيمنة هو ادعاء رجال الكنيسة السلطة الإلهية انطلاقاً من فكرة اللاهوت!

٣ـ التاريخ الطويل للفلسفة السياسية لفكرة التسلطية ، والتي يمكن ردّها إلى أفلاطون .

---

(١) يراجع : نظم الإعلام المقارنة ، ل .جون مارتن ص : ١٣٦ .

(٢) يراجع : الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ، كرم شلبي ص : ٢٣ـ٢٤ .

(٣) يراجع : الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية ، مرجع سابق ص : ٣١٥ ، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، محمد موفق الغلاييني ص : ١٩٥ .

إن الفرد في هذه النظرية مسلوب الحرية والتفكير ، مغيّب الحقوق والإرادة ، يتصرّف في أموره وشؤونه حاكم مطلق ، أو قياديون متسلطون وفق ما يرونه ـ هم فقط ـ ، مصلحة له وحفاظاً عليه وحماية للأمة ، وحرصاً على بقائها .

وعلى الرغم من هذه الأفكار والمبادئ التي تنادي بها نظرية السلطة ، فإن هناك أنصاراً لهذه النظرية ، يؤمنون بوجود فروق بين أفراد الشعب ، من حيث قدراتهم الجسمية أو العقلية ، ويبنون على هذه الفروق حكماً مفاده أن ذوي المعرفة من العلماء والحكماء وذوي التجربة أو الاطلاع ، هم وحدهم أصحاب الحق في السيطره الحقيقية على غيرهم من أفراد المجتمع في ظل الحاكم ووفق مشيئته ورضاه[1] .

٣ـ خصائصها الإعلامية :

تستند الفلسفة الإعلامية لنظرية السلطة إلى قيام الحكومة بإصدار تراخيص وسائل الإعلام والرقابة عليها ، وذلك بهدف الحدّ من النقد ، وإيقافه ؛ للمحافظة على النظام الحاكم .

كما ترى أن واجب وسائل الإعلام يتمثّل في المحافظة على قداسة النظام القائم وإلهاء الجماهير ، والعمل على تحقيق التماثيل ، والاتفاق حول آراء السلطة واتجاهاتها ، ويمكن إبراز الخصائص الإعلامية لهذه النظرية من خلال النقاط التالية[2] :

---

(١) المسؤولية الإعلامية في الإعلام ، محمد سيد محمد ص : ٢١٣ .

(٢) يراجع : الإعلام والدعاية ، عبد اللطيف حمزة ص : ١٠٠ـ١٠٤ ، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية ، مرجع سابق ص : ١١٨ـ١٢٠ ، الخبر الصحفي ، مرجع سابق ص : ٢٣ـ٢٤ .

١ـ تقييد التراخيص :

سيطرت الأنظمة السلطوية على وسيلة الإعلام الحديثة في القرن السادس عشر ، وهي الطباعة عن طريق إصدار التراخيص للطابعين والناشرين ، وتحكمت في ممارسي هذه المهنة ، وكانت هذه الأنظمة تمنح الرخص لمن تطمئن إلى ولائهم لها ، وتمنعها عن الذين تشك في ثقتهم وإخلاصهم لها .

٢ـ تشديد الرقابة :

ظهرت الرقابة إلى جانب التراخيص في القرن السادس عشر في إنكلترا حيث عيّنت الحكومة الرقيب الذي يراجع ما تكتبه الصحف في أمر السياسة والدين مراجعةً دقيقةً ، وفي القرن السابع عشر ازدادت المطبوعات زيادةً كبيرةً ، جعلت الرقابة عليها شبه مستحيلة ، ثم جدّت عوامل أخرى ، أدّت إلى فشل نظام الرقابة حينذاك ، ومن أهمها ظهور الأحزاب السياسية ، وممارستها العمل الإعلامي المتمثّل في الصحف والنشرات .

٣ـ فرض العقوبات :

بعد أن وجدت الأنظمة التسلطية أن الرقابة على المطبوعات صارت أمراً صعب التطبيق ، فرضت عقوبات رادعة على المطبوعات المخالفة ، لتوجهاتها ومبادئها ، والتي تتضمن ـ على سبيل المثال ـ هجوماً على السلطة ، أو انحرافاً عن السياسة الرسمية ، أو انتهاكاً للسلوك الأخلاقي .

٤ـ شراء الأقلام :

عمدت الأنظمة التسلطية إلى منح الأموال السّرية لأصحاب الصحف لشراء ذممهم وضمائرهم ، وضمنت بذلك شراء صحف مشهورة ، وأقلام موجَّهة ، بدلاً من أن تُصدر صحفاً رسمية بأقلامٍ رسمية .

٥ـ فرض الضرائب :

سنّت الأنظمة التسلطية تشريعاً يقضي بفرض ضرائب على الصحف والنشرات ، بهدف إرهاقها مالياً ، أو تخفيف نقدها لها .

٦ـ مركزية المعلومات :

جعلت هذه الأنظمة من نفسها المصدر الوحيد للحقائق والمعلومات ، ومن ثم لا يحق لوسائل الإعلام أن تنشر شيئاً لا يكون مصدره النظام وأجهزته الرسمية ، أو دون موافقتها على النشر إن كانت هذه الوسائل حصلت في هذه النظرية ؟

إذن : ما هو رأي الشريعة الإسلامية في هذه النظرية ؟

(إنها ترفض هذا اللون من المذاهب والأيديولوجيات التي تمارس القهر الفكري ، وتطبّق الدكتاتورية تحت أي من المسميات والمصطلحات ، وهذه الفلسفة جعلت المسلمين يجاهرون بالرأي لرسول الله ﷺ ، بالرغم من إجلالهم له إجلالاً لا يقف عند حدّ ، كما جهروا للخلفاء الراشدين من بعده بآرائهم ، انطلاقاً من أن هذا الدين لم يقهر إرادة الآخرين في تبنّي ما يشاؤون من أفكار)[١] .

وإذا كان الإسلام (قد أتاح للفرد والمجتمع ممارسة حقوقه في التعبير والتحرير ، فقد أطلق أيضاً للأفراد ، والمؤسسات ، والحكومات حق ملكية وسائل الإعلام ، بدءاً من النشرة والمجلة والصحيفة ، حتى شبكات الراديو والتلفزيون ، وقنوات الاتصال الفضائية ، وذلك في الحدود التي كفلتها الشريعة الإسلامية)[٢] . كالحفاظ على أمن المجتمع

---

(١) إشكالية العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ، محيي الدين عبد الحليم ص : ٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ص : ٨٦ ـ ٨٧ .

وصيانته ، وعدم التعرّض لحرمات الآخرين ، وإتاحة حرية النشر والتعبير للجميع ، وجلب المصالح للمجتمع ، ودرء المفاسد عنه .

ب ـ نظرية الحرية في الإعلام :

١ـ تاريخها :

بعد أن عاشت أوربة في القرون الوسطى عصوراً مظلمة ساد فيها الجهل والتخلّف ، وانتشر الاضطراب والفوضى ، وسيطرت الكنيسة على الأفكار والمعتقدات ، وجثم الحكام الدكتاتوريون على صدور شعوبهم ، وكبتوا حرياتهم ، أخذت دول هذه القارة تنهض شيئاً فشيئاً ، وبدأ بصيص نور الحضارة الأوربية ينمو ويتسع في أواخر القرن السادس عشر ، مستمداً ضياءه من الإنجازات العلمية التي كانت تَتْرَى باستمرار ، وتقدم كل يوم شيئاً جديداً ، والاكتشافات الجغرافية التي كانت تتسع رقعتها باطراد ، والأفكار الجديدة التي حملتها الثورة الفرنسية .

وفي هذه البيئة الناهضة التي كانت تريد أن تتخلص من عقال الماضي ، وتنطلق صوب تحقيق الأهداف المكبوتة ، وإخراج الطاقات الكامنة ، والتحرّر من أسر المعتقدات والمبادئ المنبوذة ، ولدت نظرية الحرية ، مستمدة قوتها من الثورات الكبيرة التي شملت الأفكار السياسية والمؤسسات السياسية لغرب أوربة .

وكان للسياسة التي مارستها الكنيسة ، كغلق باب التفكير والاجتهاد ، وحصره في رجالها أثر كبير في ظهور حركاتٍ إصلاحية ثارت على هذه السياسة ، ودعت إلى إطلاق حرية الفكر والحوار ، وأعلنت رفضها التحجّر والانغلاق ، وانطلقت في القرنين السابع عشر والثامن عشر ثورة فكرية ، تدور حول اعتقاد الإنسان أنه سيّد نفسه ، وأنه يمكن عن طريق

العلم والفهم أن يحقق أسباب القوة وأن يفهم ، وأن يسود العالم بطريقة أفضل .

وشكلت التصورات التي انطلقت في أوربة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نقطة انعطافٍ مهمّة في تاريخ نظرية الحرية ، وخاصة الثورة الفرنسية التي انطلقت عام ١٧٨٩م ، وأعلنت حقوق الإنسان ، وكان لها مفهوم اقتصادي مفاده : ترك الفرد حرّاً في مزاولة نشاطه الاقتصادي ، ونشاطه الفكري ، دون أيّ تدخّل من جانب الدولة في هذا النشاط ، بأي شكلٍ من الأشكال .

ومع انتشار مبادئ هذه النظرية واتساع رقعتها أخذت دول أوربة الغربية تنتهج سياسة عامة لها ، ثم خطّت دول أخرى خطوطها ، كالولايات المتحدة واليابان وعدد من دول أوربة الشرقية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي ، في بداية التسعينيات[١] .

٢ـ مبادئها :

استندت نظرية الحرية لمبادئ عدة بنت عليها فلسفتها وأفكارها ، وتأثّرت بآراء عدد من كبار الفلاسفة الغربيين ، في السياسة والاقتصاد والتربية ، منهم آدم سميث وجون لوك وجون ملتون وديكارت ولامارك ونيوتن .

وملخص هذه النظرية : أن الإنسان مخلوق يسيّره العقل لا العاطفة ، والعقل من طبيعته البحث عن الحقيقة ، وهذا يؤدي إلى معرفة قوانين الطبيعة ، فالحقيقة تستمد من عقل الإنسان لا من السلطة الحاكمة ،

---

(١) يراجع : الاتصال بالجماهير ـ مرجع سابق ـ ص : ٣١٨ ، الإعلام والدعاية عبد اللطيف حمزة ـ مرجع سابق ـ ص : ١٢٠ـ١٢١ .

والإنسان أيضاً كائن أخلاقي ، والأخلاق هي التي تحدّد التزاماته نحو الآخرين .

وبالتالي ، ليس من واجب الحكومات أن تفرض أي سلطة على حرية الكلمة ، ولا على الصحافة الحرة ، وحجّتهم في ذلك أن التحرر الخلاّق أفضل من النظام المؤدّي إلى الخمود .

وركّز منظّرو هذه الفلسفة على الجانب الاقتصادي في حياة المجتمع ، وأوْلَوه عناية كبيرة واهتماماً بالغاً ، فلقد دعا آدم سميث إلى انتهاج قوانين الاقتصاد الكلاسيكية ، التي تدعو إلى عدم تدخّل الحكومة في السوق نظراً لأنه سينظّم نفسه ، وأوضح أن الحكومة المثلى هي التي تحكم بدرجة أقل .

وهكذا ، فالطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة تكون بترك الآراء تتصارع وتتنافس بحرية في ميدان أو سوق حرة ، مما يُتيح للأفراد الفرصة لمقارنة الآراء المختلفة ، واختيار الرأي الأصيل الذي يسود في النهاية ، بعد تداول المشاورات ، وتبادل وجهات النظر .

كل ذلك أدى إلى ظهور الديمقراطيات الرأسمالية ، وظهور الاحتكارات بأوسع معانيها .

واستطاعت المجتمعات بذلك تحقيق انتصارات مهمة ، منها : التوسّع في التعليم ، ومنح حقوق الانتخاب لأكثر المواطنين ، وحق الفرد في ممارسة نشاطه الاجتماعي ، والتنافس في الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح وزيادة الإنتاج بالجملة .

وفي الجانب الواقعي العملي فإن تطبيق مبدأ حرية الصحافة لا يزال بعيداً عن كونه تطبيقاً صريحاً ، حيث لم تتم حتى الآن تسوية قضية ما إذا

كانت حرية الصحافة هدفاً في حدّ ذاتها ، أو وسيلة لتحقيق غاية ، أو حقاً مطلقاً[1] .

٣ـ خصائصها الإعلامية :

تستند الفلسفة الإعلامية لنظرية الحرية إلى إبعاد كل أنواع سيطرة الحكومة وتحكّمها في وسائل الإعلام ـ فيما عدا بعض التدخّل فيما يخصّ قوانين القذف والخلاعة ـ ، وذلك بهدف إنشاء سوق حرّة للأفكار ، وإتاحة الفرصة لما يسمى بعملية التصحيح الذاتي للمجتمع ، والتفكير من خلال الحوار ، وتبادل الأفكار ، وأهم الخصائص الإعلامية لهذه النظرية ، هي :

أ ـ التحرّر من الضوابط الرقابية .

ب ـ حرية التراخيص .

جـ ـ التركيز على الجانب المادي .

د ـ استخدام المعايير المهنية .

هـ ـ استخدام المواد الإعلامية .

و ـ وضع قيود على تملّك الحكومات للصحف .

ز ـ حماية مالكي وسائل الإعلام .

ح ـ الانعتاق من قيود النشر[2] .

---

(١) يراجع : وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ـ مرجع سابق ـ ص : ١٩٧ ، الاتصال بالجماهير ـ مرجع سابق ـ ص : ٣١٩ ، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ـ مرجع سابق ـ ص : ٢١٤ .

(٢) للتوسع يراجع : الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص : ٢٥ـ٢٦ .

إذن : ما هو رأي الشريعة الإسلامية في هذه النظرية الإعلامية ؟

كما هو معروف ، فالفلسفة الإعلامية في الإسلام لا تقيّد الجماهير ، ولا تُطلق سراحها بشكلٍ جامح منفلت من القيود ، دون ضوابط أو قيود ، وبالتالي فليس لأحدٍ أن يفرض ما يهواه من لوائح ولافتات ، ويسنّ ما يشاء من قوانين ، أو يُبيح ما يعتقده من أمور تحكمها رغباته وتُسيِّرها غرائزه ، لأن إرادة الله القاهر فوق عباده هي التي تصوغ شكل الحياة في المجتمع المسلم ، وتفرض على الجميع الالتزام بما أورده في كتابه ، وما جاء على لسان نبيّه المصطفى ﷺ .

وهذا يعني الالتزام بالأوامر التي جاء بها البيان الإلهي ، ووضّحها البشير النذير في سنته الشريفة ، تطبيقاً لقول الباري سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1] [الأحزاب : ٣٦] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

وقد قام المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصحيحة ، التي تضع الموازين ، وتقرر القيم ، كما تقرر السلطة التي تستند إليها هذه الموازين وتلك القيم ، ولولا ذلك لما عرف الناسُ ربهم ، ولا عبدوه وحده ، ولما تقرر في القلوب معنى : « لا إله إلا الله » ، ولما تطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته .

ولا ريب في أن التفلّت من الضوابط والانعتاق من جميع القيود ، والتحرّر من جميع الروابط ، من دون إطارٍ محدّد واضح يحصر هذا التحرر ، يمثّل عين الهمجية ، وهي التي تسوق المجتمع إلى الدّمار ،

---

(١) « الخيرة » : الاختيار .

وتعرض مؤسساته للخراب ، ومن أجل ذلك وضع الإسلام لحقوق الإنسان مفهوماً ، يدعم الروابط بين الناس ، ويمنع الاعتداء على مصالح الآخرين ، أو مشاعرهم[١] .

جـ ـ نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام :

نتيجة ازدياد الشكاوى من الحرية المطلقة للصحافة ، والتي نجم عنها فساد الأخلاق ، وانحطاط القيم الإسلامية .

ونتيجة النقد المرير الموجّه للصحافة ووسائل الإعلام بالنسبة لنمو حجمها ، وزيادة احتكاراتها ، وأهميتها ، مما جعلها عامل ضغط حتى على الحكومة نفسها ، وربما يؤدي إلى عرقلة إجراءاتها .

ونتيجة التطوّرات الصناعية والتعاونية الهائلة المتسارعة باطّراد ، والتي أثّرت في نمط الحياة السائد في الدول الغربية .

ونتيجة ارتفاع الأصوات التي تتهم سوق الأفكار الحرة بالإخفاق في الوفاء بما وعدت به من حرية الصحافة ، وتحقيق الفوائد المتوقعة .

كل ذلك ، وغيره أدى إلى نشوء من يُطالب بالحرية الموجهة نحو خدمة المجتمع ، لتيسير المسؤولية مع الحرية جنباً إلى جنب .

أما عن مبادئ هذه النظرية :

فتعتبر تطويراً لمبادئ ومنطلقات نظرية الحرية ، وبالتالي فهذه النظرية لا تنكر عقلانية الإنسان وحريته ، ولكنها تنكر ما تذهب إليه نظرية الحرية من أن الإنسان يسعى بطريقة فطرية وغريزية للبحث عن الحقيقة والاقتداء بها ، وبالتالي فهذه النظرية تدعو إلى تدخل الدولة لتحقيق مجموعة من التشريعات التي تستهدف تقديم بعض التنازلات لصالح الطبقات العاملة

---

(١) يراجع : إشكالية العمل الإعلامي ـ مرجع سابق ـ ص : ٨٥ ـ ٨٦ .

والفقراء ، كقوانين التأمين ضد البطالة ، والتأمين ضد العجز ، والتأمين الصحي ، والتأمين على الحياة .

وأما عن أهم خصائصها الإعلامية :

فهذه النظرية تعقد صلحاً بين ثلاثة مبادئ ، هي : مبدأ الحرية الفردية والاختيار ، ومبدأ حرية الصحافة ، ومبدأ التزام الصحافة تجاه المجتمع .

١ـ إن وسائل الإعلام ليست ذاتية بقدر ما هي موضوعية .

٢ـ حيادية وموضوعية وسائل الإعلام تجاه الحكومات والقضايا الخلافية على مستوى المجتمع .

٣ـ تعدد وسائل الإعلام بحيث تعكس تنوّع الآراء والأفكار في المجتمع .

٤ـ التنديد بالأعمال الصحفية المنحرفة ، والتي تحارب الأخلاق والقيم .

٥ـ الالتزام بمجموعة من المواثيق الأخلاقية ، ليتمّ التوازن بين حرية الأفراد ومصالح المجتمع .

٦ـ تجنّب كل ما من شأنه أن يساعد على حدوث الجرائم والعنف ، وسيادة لغة البطش .

٧ـ الحفاظ على النظام السياسي القائم .

٨ـ يجب أن يكون الإعلاميون مسؤولين أمام المجتمع .

٩ـ خدمة النشاط الاقتصادي وزيادة مساهمته في الناتج الوطني الإجمالي .

١٠ـ تقديم برامج وألوان التسلية والترويح .

إذن : ما هو حكم الشريعة الإسلامية في هذه النظرية الإعلامية ؟

قد يبدو للوهلة الأولى أن مبادئ هذه النظرية متطابقة مع مبادئ الإسلام وهديه في الحياة ، ومنهجه في التشريع ، إلا أن هذه الحقيقة ليست كذلك ، فقد يلتقي الإسلام مع بعض الجوانب والنقاط في هذه النظرية ، إلا أنه يختلف اختلافاً كبيراً معها في جوانب عدة .

فالإسلام ينطلق أساساً من عقيدة راسخة ، منزلة من الباري سبحانه إلى رسوله الكريم ﷺ بوساطة وحيه الأمين ، وهي واضحةٌ في التشريع السماوي الخالد ، ومفصّلة في سنّة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

والمسؤولية الاجتماعية مفهومٌ يحتمل تأويلات كثيرة ، تتباين من مجتمع إلى آخر ، في حين أن المسؤولية في الإسلام واضحة بيّنة ، لا تحتمل لبساً ولا غموضاً .

فوسائل الإعلام مسؤولة أمام الله سبحانه والمنهاج قبل أن تكون مسؤولة أمام المجتمع والقائمين عليها ، وهي مسؤولية نابعة من الإيمان الحق ، الذي غمر القلوب ، وسكن الأفئدة ، وتمثّل عملاً صالحاً لخير المجتمع ، وعودة إلى الحق بالحسنى ، والتزاماً بأخلاق الإسلام وآدابه .

والفلسفة الإسلامية في الإعلام فلسفة راسخة لا تتعدّل أو تتبدّل بحسب الظروف والمتغيرات التي تفرض نفسها على الساحة المحلية أو الدولية ـ كما هو الحال في الفلسفة الليبرالية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية ـ لأنها تتميّز بالثبات والمرونة في نفس الوقت ، ثابتة ثبات العقيدة ، ومتحرّكة مع حركة الحياة ، وهي تخدم الإنسان وتقدّره ، وتلبّي فطرته التي فطره عليها الباري سبحانه ، وتدعو إلى إشغال العقل ، وإعمال الفكر ، وإطلاق الطاقات ، لتحقيق الخير للمجتمع ، وإعمار الكون .

وإذا كانت أجهزة الإعلام تستعين بعلماء الدين لإسهامهم في نشاطها ، ووضع الضوابط الشرعية ، والمشاركة في تطويرها وتقويمها وتعديل مسارها ، وإبداء الرأي في خططها ، فإنها في الوقت نفسه ، تستعين بعلماء متخصصين في مختلف المجالات والمعارف لأداء هذا الدور ، كخبراء المعلومات ، وعلماء السياسة ، وأساتذة علم النفس والقانون والعلوم التربوية .

وقد ترك الإسلام باب الاجتهاد في الدين مفتوحاً مشرعاً أمام ما يحدث من تطورات ، وما تقتضيه مصلحة الأمة ، إلا ما ورد فيه نصّ قطعيٌّ ثابت ، وهذا الاجتهاد يُتيح لعلماء الأمة الإسلامية إصدار الفتاوى المختلفة التي تضمن مصلحة الأمة ، وتدرأ المفاسد عنها ، في كل ما يعرض من قضايا عصرية ، ووقائع آنية .

والحقيقة أنه لو التزمت الأجهزة الإعلامية في العالم الإسلامي بالثوابت والأصول ، وانطلقت منها إلى آفاق الحياة الرحبة ، تعمل وتجتهد وتبدع وتضيف ، لكان للعالم الإسلامي شأن آخر ، ولما أصبح حال الأمة الإسلامية على هذا النحو ، لا سيما أن غالبية الأمة الإسلامية مرتبطة بعقيدتها ، وأن الدين ما زال يوجه فكر أبنائها ويبني كيانهم[1] .

د ـ النظرية السوفيتية الشمولية في الإعلام :

يُعَدُّ الفيلسوف الألماني (هيغل) أول من نادى بمبادئ النظرية الاشتراكية ، حيث قال : (الفرد يحمل قدراً كافياً من الروح يجعله يرغب في أن يتّحد بالدولة اتحاداً كلياً) و(الدولة أكمل وأعلن وأعلى صورة

---

(١) للتوسع يراجع : إشكالية العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ـ مرجع سابق ـ ص : ٨١ ـ ٩٠ .

تجسم للروح يمكن الوصول إليها) ، وبالتالي (فاتحاد الفرد بالدولة نوع من الجهاد الواعي ، وليس أمراً آلياً وعفوياً فيما تمكنه عليه الدولة وهو إرادته الحقيقية ، وعلى ذلك فإن أوامر الدولة تمنح الإنسان فرصته ليكون حرّاً حقيقياً) .

ثم جاء (ماركس) فتبنّى آراء (هيغل) وزاد عليها ، لذلك يُعتبر (ماركس) منظّر وفيلسوف هذه النظرية ، حيث جادل كثيراً في الجدلية المادية التاريخية .

ولما قامت الثورة الحمراء في الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧م ، تبنّى (لينين) آراء (ماركس) وراح يطبّقها على أرض الواقع .

وأهم مبادئ هذه النظرية : ما نادى به (ماركس) من المادية الجدلية ، والجدلية المادية التاريخية ، حيث وضع عدة مبادئ منها تفسيره الجديد للتاريخ ، وخلاصة : الربط بين النظم السياسية والاجتماعية ، وهي ما يسميها (البناء القومي) وقوى الإنتاج وعلاقاته الموجودة في وضع وزمن معين ، وهي ما يسميها (البناء التحتي) .

ورأى أن هذا التاريخ أخذ يدخل مرحلته النهائية المتمثلة بالنضال (بين البورجوازية والبروليتاريا) ، وأن مراحل التطور الاقتصادي هي مراحل التطور الاجتماعي مقرونة بالتدرّج التاريخي ، وأن هذين الأخيرين يحدثان بسبب التغيرات التي تصيب القوى الإنتاجية على مرّ السنين .

وملخص فلسفة ماركس حسب تعبير طارق حي هي : الدين أو الثقافة ، أو العرق ، أو التقاليد ، أو العادات ، أو القوانين ، أو النظم السياسية والاجتماعية السائدة في عهد معين هي مجرد انعكاس ونتيجة للبناء الاقتصادي في المجتمع برافديه : قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج .

إضافةً إلى المبدأ الأهم وهو سيادة الطبقة العاملة (البروليتاريا) .

وأما عن أهم خصائص هذه النظرية الإعلامية :

فهي تعتمد على تحكّم الحكومة في وسائل الإعلام ، واستخدامها لغرض الوصول إلى التغير الاجتماعي المنشود (المرحلة الشيوعية في المجتمع) .

ويمكن تبيّن الخصائص الإعلامية لهذه النظرية :

أ ـ الملكية : فهي عامة وتامة للدولة ، وبالتالي يُسمح فقط للحزب الشيوعي ، والحكومة التي يسيطر عليها هذا الحزب ، والمنظمات العامة الموجهة بوساطة الحزب ، كالنقابات ، امتلاك وسائل الإعلام وتشغيلها .

وهذا ما عبّر عنه (لينين) بالقول : إن الجرائد ينبغي لها أن تُصبح الألسنة الناطقة بمختلف تنظيمات الحزب ، كما على البروليتاريا الاشتراكية المنظمة أن تحرس هذا النشاط وتراقبه على أحسن وجه!

ب ـ الرقابة : وهي رقابة كلية من قبل الحزب الحاكم ، حتى الصحف والمجلات والمراسلين ووكالات الأنباء الأجنبية ، فتمارس عليها رقابة شديدة .

جـ ـ النقد : يُمنع نقد الحكومة أو الحزب ، ويُسمح بنقد البرامج التنفيذية فحسب .

د ـ الإعلاميون : حسب تعبير (خروشوف) : يستحيل علينا أن نترك الصحافة في أيدٍ غير أمينة ، فهي لا بدّ أن توضع في أكثر الأيدي أمانة ، وأجدرها بالثقة .

هـ ـ التوجيه والترويج : أي أن يكون الدور الأهم لوسائل الإعلام : ترويج أفكار الدولة ومبادئها التي تستند عليها ، وترتكز إليها .

و ـ الحرية : يرى أنصار هذه النظرية أن وسائل الإعلام تتمتع بالحرية الكاملة وتمارس نظاماً حرّاً ومسؤولاً في الوقت ذاته ، لأن الطبقة العاملة تتمتع بامتيازات استخدامها في التعبير عن الخط الحقيقي ، للوصول بنجاحٍ إلى الأهداف التي ترسمها الدولة لصالح الطبقة العاملة .

إذن : ما هو حكم الشريعة الإسلامية في هذه النظرية الإعلامية ؟

يبيح الإسلام لجميع أفراده تملّك وسائل الإعلام وفق ضوابط شرعية تكفل تحقيق هدي الإسلام في الحياة ، كما يتيح حرية التعبير والرأي لأفراده كافة ، مع الالتزام بالإطار الشرعي لهذه الحرية الذي يشعر الإنسان حقاً بأن عبوديته لله عز وجل حرّرته من استعباد النفس ، والانقياد وراء شهواتها ، والتحرّر من ذلّ غرائزها ، وأنه بهذه الحرية يتمتّع بالخير والحلال من رزق الدنيا وطيّباتها ، ويتجنّب الحرمات والمزالق التي تؤدي إلى سوء العاقبة في الدارين .

ووفقاً لشرع الله سبحانه لا يجوز لوسائل الإعلام أن تحوّل ما أنزل الله في كتابه من أحكام إلى موضوعات للجدل والنقاش ، ولكنها مطالبة بأن تحملها وتبلِّغها للناس باعتبارها أوامر على الجميع طاعتها ، وعدم الخروج عنها ، ولما ارتضى الإعلاميون الإسلام ديناً فليس من وظيفة وسائل الإعلام أن تطرح للنقاش مثلاً إمكان إلغاء صوم رمضان حرصاً على العمل والإنتاج ، أو تدعو إلى تعديل مناسك الحج حفاظاً على راحة الحجاج ، أو تسنّ قوانين جنائية أو شخصية أو اقتصادية لا تتفق مع ما جاء في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ .

إن ما يميّز النظام الإعلامي في الإسلام أنه نظام متكامل مادياً وروحياً ، في حين أن القوانين التي يضعها البشر غير قادرة على إقرار العدل بين الناس ، لأنها ثمرة تفكير عقول بشرية ، والإنسان في تفكيره

يخطئ ويصيب ، وقد يمارس الظلم ، ويتجاوز الحقيقة[1] .

هـ ـ نظرية الإعلام الإسلامي :

هناك آراء كثيرة في تحديد نظرية موحدة للإعلام الإسلامي ، وهناك تغيرات كبيرة في الكتابات العلمية التي ظهرت خلال ربع قرن مضى .

ويُطلق مصطلح (نظرية الإعلام) حالياً على : الفروض العلمية التي توصّل إليها الباحثون في العملية الإعلامية ، والتي توضّح طبيعة التفاعل بين مكوناتها والقوى التي تتحكم فيها ، ودور أجهزة الإعلام في هذه العملية .

ولئن كانت نظريات الإعلام التي وضعها البشر لا تخرج عن كونها فروضاً يعوزها الوثوق لتصل إلى مرتبة الحقائق اليقينية ، فإن (نظرية الإعلام الإسلامي) تستند إلى أدلّة موثقة من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ ، وتستمدّ من شروح الفقهاء والمفسرين من علماء المسلمين المجتهدين .

وإنَّ عَجْزَ علماء الإعلام الحديث عن الوصول إلى نظرية موحدة للإعلام أقوى دليل على عجز البشر عن فهم البشر ، وأكبر برهان على وجوب الرجوع إلى الخالق عز وجل ، فيما يتعلّق بأمور الخلق ، فهو تعالى العليم بنفوسهم ، الخبير بما يسعدهم أو يشقيهم ، وبما ينفعهم أو يضرّهم .

---

(١) للتوسع يراجع : فن الخبر الصحفي ، فاروق أبو زيد ص : ٤١ ، إشكالية العمل الإعلامي ـ مرجع سابق ـ ص : ٨٩ ، الاتصال بالجماهير ـ مرجع سابق ـ ص : ٣٣٤ ، الإعلام والدعاية ـ مرجع سابق ـ ص : ١١٦ ، الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص : ٤١ ، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ـ مرجع سابق ـ ص : ٢٢٩ ، الشيوعية والأديان ، طارق حجي ص : ١٩ .

فقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ٥٢] .

وقال أيضاً : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1] [الأنعام : ٣٨] .

مما يؤكّد أن الإسلام يحتوي على الحقائق جميعاً التي تحكم كل شيء في الوجود ، وقال تعالى : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] .

وقال تعالى : ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء : ١٠٥] .

وقال أيضاً : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

فالقرآن الكريم والسنّة المطهرة والعلوم المرتبطة بهما تشتمل على ما يحتاجه علماء الإعلام من مبادئ سليمة ، وأسس قويمة ، وقواعد متينة ، وحقائق ثابتة ، كذلك فإن علماء الإعلام المعاصرين أمامهم فرصة كبيرة للنجاح فيما عجز عن إنجازه علماء الإعلام في الشرق والغرب ، وهو بناء نظرية متكاملة للإعلام الإسلامي .

والمهم هو فتح آفاق المعرفة ، والتزود من الحقائق العلمية ، وسَبْر أغوار القرآن والسنة ، واستخراج قواعد العلوم منهما ، فالقرآن قد احتوى على كل شيء . قال تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام : ١١٤] .

ومما سبق يمكن وضع تعريف (نظرية الإعلام الإسلامي) بأنها :

---

(١) « ما فرطنا » : ما أغفلنا وتركنا .

الحقائق والقواعد المستمدّة من الإسلام ، التي توضح طبيعة التفاعل بين مكونات العملية الإعلامية والقوى التي تتحكم فيها في المجتمع الإسلامي ، ودور أجهزة الإعلام في هذه العملية[1] .

أجل!

يجب البحث في كل ما يتعلّق بالمرسل : خاصة الحقوق والسلطات ومسؤوليات وصفات المرسل ، إضافة إلى القوى العقدية والاجتماعية المؤثرة على المرسل ، كذلك فلا بدّ من بحث الضغوطات المهنية التي تؤثّر عليه .

ومن جانبٍ آخر يجب البحث في كل ما يتعلق بالرسالة الإعلامية الإسلامية ، خاصّة مضمون الرسالة ، وأساليب معالجتها ، ووسائل التعبير عنها ، كذلك يجب البحث في كل ما يتعلّق بالوسيلة الإعلامية : خاصّةً حاجة الإنسان إلى وسائل الإعلام ، وأقسام وسائل الإعلام الإسلامي ، وأهم الوسائل التي استخدمها الإسلام ، ومقدرتها الإقناعية ، وحكم الإسلام في استخدام وسائل الإعلام المستحدثة .

كذلك يجب البحث في كل ما يتعلّق بالمستقبل : وخاصة ما يتعلّق بحقوق المستقبل وحاجاته ورغباته ، والقوى الذاتية والاجتماعية المؤثّرة على متلقي الرسالة ، وأقسام جمهور المستقبلين ، والرأي العام في الإعلام الإسلامي .

ولعل بعض ذلك يأتي في الباب الثاني .

* * *

---

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام ، محمود كرم سليمان ص : ٩٥ ـ ١٠٨ ، وللتوسع يراجع : أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية ولبورشرام ، ترجمة محمد فتحي ويحيى أبو بكر ص : ٢٧ ـ ٣٩ ، الإعلام الدولي ، أحمد بدر ص : ٤٩ ـ ٦٠ ، مع العقيدة والحركة والمنهج علي عبد الحليم محمود ص : ١٠١ـ١١٩ وغيرها .